



الفردوس

حَيَاتُهُ وَشَعْرُهُ

إعداد
محمد رضا مروّءة
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الاعلام من الادباء والشعراء

الفريق

حياته وشعره

إعداد

محمد رضا مروّنة

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطه يديل < mktba.net

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Nashr 41245 Le : ١١/٩٤٤٤ تلخس :
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حينما تبدأ بالكتابة عن الفرزدق، تشعر بتاريخ يسري في أعماقك. وتحس بعظمة العطاء، وكبرياء الإنسان الذي لم يقف أمام الأمور صلباً متصلباً، فكبا مع الريح حيناً، ثم ارتفع. عظمته تكمن في غزارة عطائه. فهو الطارق لكل أغراض الشعر التي سادت في عصره، بل قل، هو عصر، أو إن العصر يتلخص فيه أو يكاد.

هو واحد من الثالوث الأموي، ممن طارت شهرتهم، وعبرت الأزمنة حتى عصرنا هذا، ويومنا هذا.

وحينما تبدأ بالكتابة عنه تجد أمامك قِمةً شامخة، علماً كلماته نار، حتى في الغزل والنسيب والثناء. وتجده بركاناً في موضوعات الفخر والهجاء والمديح.

كيف نبدأ بالكتابة، والكتابة شاهد علينا؟ ومن أين نبدأ بشاعر لولاه «لضاع ثلث لغة العرب». ومع الصعوبة، سرنا، وكتبنا،

وحللنا. وكان الفرزدق صورة حية عن عصره.

إن اقتحام الماضي ليس هيناً، وأصعب ما فيه أن تقف أمام شاعر مثل الفرزدق. ومن خلاله تدخل إلى بيئته وعصره، حينها تمتلك في ذهنك الجغرافية والتاريخ.

إننا أمام نسيج للبيئة الأموية التي تمثلت فيها روح جديدة كادت أن تموت. ومع هذا النسيج تتلأأ أضواء الفكر. والمغريات كثيرة للدخول في مناهات الماضي. أهمها حب الكشف والاستطلاع. ولا ندعي لأنفسنا الريادة في هذا. بل كل ما عملناه هو نقطة في بحر الأدب الواسع. نقطة في خضم الحياة الفكرية المتلاطمة منذ القدم ولا تزال. إنه سعي نحو المستقبل، هدف للآتي، للقادم، مدماك في بناء الفكر، وكلمة في عالم الألفاظ. كلمة عن قِمة، عن تاريخ وتراث، فهل حققنا الغاية؟.

هذا ما نتركه للقاريء الكريم علّه يكشف بنفسه حقيقة ما، فنكون وإياه على طريق الحقيقة التي نصبوا إليها في أعمالنا.

والله ولي التوفيق

محمد رضا مروة

يحرر - النبطية

١٩٨٨/١٠/٣٠

العصر الأموي

خصائص هذا العصر:

هو العصر الذي كانت فيه مقدرات الدولة الإسلامية في حوزة الأمويين بالشام، منذ تسلم معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة ٤١ هـ إلى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ.

ويختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام اختلافاً كبيراً، وفي مجالات كثيرة. إذ يعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلاباً سياسياً في تاريخ الإسلام، لأنها كانت أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين خلافة دينية، وصارت في أيامهم ملكاً عضوداً، وكانت شورى فصارت وراثية. وقام معاوية ينازع أعمام الرسول عليها وأبناء عمه كذلك، حتى استقام له الأمر بسبب دهائه وحنكته وسعة صدره، وأسس الدولة الأموية.

ويهمنا في هذا المقال ما آلت إليه الأحوال الاجتماعية والفكرية في تلك الفترة. وأول ما يبرز أمامنا:

١ - عودة الصراعات القبلية:

إنَّ الإسلام كان قد قضى على العصبية الجاهلية التي سادت بين القبائل. واجتمع العرب تحت اسم الإسلام، وكان هذا الاجتماع يشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين. حتى إذا جاء بنو أمية إلى الخلافة وقبضوا على زمامها، استبدوا بالحكم، وتعصبوا للعنصر العربي، وحافظوا على روح البداوة وتمسكوا بعاداتها. فبقيت خشونة البادية غالبة في حكومتهم، وظاهرة في سياستهم. وظهر جلياً تعصبهم لقريش وإيثار أهلها على سائر القبائل الأخرى. مما أدى إلى الحسد والتنافر بين القبائل التي كانت في الجاهلية، وضاع فضلها في الإسلام. وخصوصاً أهل البصرة والكوفة.

هذا التفريق الذي حصل بين قريش وسائر قبائل العرب، أدى إلى تعصب كافة العرب ضد قريش، حسداً منها، ولأنها استبدت بالسلطة دون سائر الصحابة والتابعين، إلا الذين استطاع معاوية أن يتألفهم من القبائل اليمنية والعذنانية. وبرز الخلاف منذ خلافة عثمان على يد سعيد بن العاص.

وتزايدت الفركة بين الطرفين إلى أن ثبت الأنصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش. حتى اعتبر بعض المؤرخين أن معركة صفين سنة ٣٧ هـ التي جرت بين معاوية وعلي، هي

معركة بين قريش واليمنية الأنصار. وبقي الصراع محتدماً بين الطرفين حتى صار أكثر اليمنية شيعة علي وأنصاره.

لكن معاوية أدرك أنه لا يستطيع البقاء دون التقرب من بعض القبائل الأخرى، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها - بحدل - أم يزيد ابنه.

وبعد موت معاوية وابنه يزيد كان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة. واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم. ووقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية. وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية). وأنصار بني أمية من كلب (يمنية). واستتب الأمر بالنهاية لمروان بن الحكم. وجرت معركة مرج راهط بين أنصار مروان وأنصار ابن الزبير، أي بين كلب وقيس.

وبعد موت مروان انتقلت الخلافة إلى ابنه عبد الملك بن مروان. وانقسم الناس في سائر البلاد الإسلامية بين حزبين كبيرين: قيسية وكلبية، أو مضرية ويمنية، أو نزارية وقحطانية. وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس، وخراسان وأفريقيا.

هذا الخلاف بين القبائل العربية أدى إلى خلاف من نوع آخر أصعب وأشد، هو الخلاف بين العرب المسلمين وبين

المسلمين من غير العرب. إذ كان العربي في العصر الأموي يعتبر نفسه سيداً على سواه، ويعتقد انه خلق للسيادة أما الموالي والمسلمون من غير العرب فهم للخدمة. فأخذ العرب السيادة واشتغلوا بالسياسة، ولم يعنوا بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ، أما الحساب والكتابة فقد كانا من صنائع الموالي.

٢- رواج الشعر:

كان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس، ومترلة عظيمة عند الخلفاء والولاة ولا غرابة في ذلك لأن طبائع الأمويين كانت تستحبه، وسياسة العصر تعمل على رواجه وانتشاره. وأهم أسباب رواجه:

أ- العصبية القبلية: كانت سياسة بني أمية تقتضي استعداد القبائل بعضها على بعض، ولا يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى عصبية الجاهلية التي كان الإسلام قد قضى عليها نسبياً. وأول من مشى في هذا الدرب معاوية ضد أبناء عمه. والانقسام الذي حصل بين بني أمية أنفسهم حين تولى الخلافة مروان بن الحكم. وبرز التيارات الدينية والأحزاب السياسية المطالبة بالخلافة خاصة في زمن يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان. وكانت ثورة الحسين بن علي، وخروج آل الزبير، والأزارقة، وسعيد بن الأشدق وغيرهم. وكان لكل خارج قبيلته وأنصاره من القبائل التي تضررت من سياسة الأمويين تنصره

وتقاتل معه . وكان الأمويون يستعينون بالشعراء لبث دعوتهم .
فازداد الشعر نفوذاً وقوة، وكثر الشعراء في هذا العصر .

ب - سخاء بني أمية : كانت سياسة بني أمية تقتضي استرضاء الشعراء بالمال . فضلاً عن اضطرار الشاعر أو كثير من الشعراء إلى استرضاء الخلافة خوفاً منهم . وكان العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى أشيع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة التابعين . وكان للشعراء في هذا العصر رواتب مثلهم مثل الجند، عند هذا لم ير الشعراء بدأ من استرضاء بني أمية خوفاً من قطع أعطياتهم فضلاً عن الجوائز الكثيرة التي كان يقدمها الخليفة لمن أحسن وأجاد في المدح وهجاء الخارجين .

ج - رغبة بني أمية في الشعر : كان لبني أمية رغبة شديدة في إحياء لسان العرب، وذلك ناتج عن تكوينهم النفسي . وكان الخلفاء أهل علم وأدب، وكانوا يجيدون الشعر، ويحبون الاستماع إليه . ومما جاء على لسان معاوية أنه قال : واجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو ابن الاطنابة :

أبت لي همتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الرخيص

وإقحامي على المكروه نفسي
 وضربي هامة البطل المُشبح^(١)
 وقولي كلما جَشَأَتْ وجاشتُ
 مكانك تحمدي أو تستريحي^(٢)
 لأدفع عن مآثر صالحاتٍ
 وأحمي بعدُ عن غرضٍ صحيح

ويقول صاحب الأغاني إن «يزيد بن عبد الملك رد على
 الأحوص الشاعر من منفاه بيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية
 وهو قوله:

كريمُ قريشٍ حينَ يُنسَبُ والذي
 أقرّتْ له بالملك كهلاً وأمرداً

فطرب يزيد وقال: «ويحك من كريم قريش هذا؟» قالت:
 «أنت وقد قاله الأحوص وهو منفي». فكتب برده، وأنفذ له حلاً
 سنية وأدناه وقربه وقال له يوماً: «لولم تمت إلينا بحق ولا صهر ولا
 رحم إلا بقولك:

وإني لأستحييكم إذ يقودني
 إلى غيركم من سائر الناس مطمعُ

(١) الشيخ: الجاد في الأمر.

(٢) كلما جاشت وجشأت: أي كلما اضطربت نفسي من خوف أو جزع.

لكفالك ذلك عندنا».

ومما جاء في الأغاني أيضاً أن عبد الملك بن مروان راسل عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذاك بمثله.

لم يقتصر حب الأدب والشعر على الخلفاء فقط، بل كان عمال الأمويين أيضاً أصحاب فن وذوق وخيال وحس وتذوق للشعر ولإنشاده. فالحجاج بن يوسف الذي كان أشد الولاة وطأة وقساوة، قيل إنه جيء بالأسرى بين يديه بعد حرب الأشعث، فأخذ بقتلهم، حتى صاح به رجل: «والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته» فقال له: «وكيف.. ويلك؟» قال: «لأن الله تعالى يقول: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾» وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل» ثم قال: «أو امنن». فقال الحجاج: «ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت». ثم نادى برفع السيف، وأمن الناس.

وكان بنو أمية حفيظة للشعر، وكانوا يعقدون مجالس البحث فيه والنقد له، والنظر في أجوده، وأصوبه، وكان مجلس هشام بن عبد الملك عامراً بهذه الندوات واللقاءات، وكذلك مجلس سليمان بن عبد الملك الذي جمع إليه الفرزدق وجريـر

وكثيراً وابن الرقاع، وقال لهم: «أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، ففعلوا في حديث طويل».

والحقيقة أن الشعر كان مسيطراً على أحاسيس بعض الخلفاء. وكان ميلهم نحوه لا يوصف، وشغفهم به كبير لا يحد. ومنهم معاوية، وعبد الملك، وهشام، حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة. وكانت لهم عناية بالأدب والأدباء، والشعر والشعراء وخصوصاً عبد الملك.

ومما لا يجوز نسيانه أن الأدب لا ينمو ولا يرتقي إلا بالعناية، تحت ظلال مسؤولين مدركين لأهمية الكلمة، وفي كنف محبين من الملوك والأمراء. وما النهضة الأدبية التي حدثت في عصور مختلفة إلا نتيجة رعاية ملك أو أمير أو مسؤول لها.

٣- الحركة العلمية والأدبية في البصرة والكوفة:

كان لاحتكاك العرب بغيرهم من شعوب الأمم المتحضرة أثر كبير في تطوير الحركة العلمية والأدبية في كل من البصرة والكوفة. وفي هذين القطرين اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم. وفيهما ولد النحو والعلوم اللسانية. وتكاثرت الأندية الأدبية هناك ولا سيما في أسواق تلك المدينتين. وأهمها:

أ- المربد: هو بمثابة سوق عكاظ بمكة. إذ أن العرب نقلوا معهم إلى البصرة والكوفة عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم

الجاهلية. وانقسموا قبائل وبطوناً، عرب اليمن، وعرب الحجاز. وأقاموا لهم الأسواق الأدبية على غرار ما كان في الجاهلية. وأشهر تلك الأسواق «المربد». في البصرة. وكان «المربد في العصر الأموي بمثابة عكاظ في الجاهلية، تألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة، ومجالس الأدب والعلم. فكان الشعراء يؤمنونه ومعهم رواثهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة، وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعي الإبل».

ب- سوق الإبل: لم يبلغ شأو المربد في الاجتماع والمناظرة به.

ومن العلوم التي نشأت في البصرة والكوفة، ونمت وتطورت تلك هي التي تدور حول النص القرآني، من فقه وتفسير، وحديث، ونحو. وبدأ علم التاريخ يبرز ويظهر لأهميته في العلم السياسي. فمعاوية بن أبي سفيان «كان يجلس لأصحاب الأخبار في كل ليلة بعد العشاء إلى ثلث الليل، فيقصون عليه من أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيته وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكائدها. ثم ينام ثلث الليل ويقوم، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها، وقراءتها، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك، وأخبار الحروب ومكائدها وأنواع السياسة».

مميزات الشعر في العصر الأموي

الإنسان ابن بيئته، وهو صنعة الأقاليم. تتغير أطواره وآراؤه وأحاسيسه بتغير البيئة الطبيعية والفكرية المحيطة به، ويظهر هذا جلياً في نتاج الأدباء والشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي، عن أسلافهم الذين عاشوا البداوة في الجاهلية. وأهم مميزات الشعر في هذا العصر:

١ - خلوه من وحشي الكلام:

إن بلاغة الجاهلية بقيت في الشعر حتى في هذا العصر. أضف إلى ذلك سلامة اللغة وسلاستها، والابتعاد عن العجمة والركاكة واللحن وغير ذلك من عيوب الكلام التي برزت فيما بعد. وتأثر فن القول في العصر الأموي بأساليب القرآن الكريم، والحديث الشريف. فتخلص من وحشي الكلام، والغريب من التراكيب اللغوية، حتى ظهر وكأنه أفضل مما سبق، وأحسن مما سلف. ولا عجب في هذا لأن لكل عصر خصائصه ومميزاته.

٢ - كثرة الغزل والتشبيب:

كثر الغزل والتشبيب في هذا العصر، وذلك نتيجة طبيعية للحياة الجديدة التي ساد فيها اللهو، والجواري، والسبايا من بلاد الروم وفارس. وبدأ الشعراء يشبون بالنساء الجميلات. وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجاً على حرمة الأدب «فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص». وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة إلا جلدته.

وعندما انتقل الحكم إلى بني أمية، وانتقلت عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق، وكثر الاختلاط بالأعاجم، وأخذ العرب بأسباب الحضارة، وذهبت هبة العفة من نفوسهم، كثر التشبيب بينهم خاصة في المدينة. لأن أهلها عاشوا في رغيد العيش بعدما أغرقهم معاوية بالهدايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الحكم والخلافة. ويعتبر إمام أهل النسيب والغزل في الاسلام - جميل بن معمر - الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان.

وهو الذي «وطأ النسيب للشعراء، فأكثر منه، وتفنن فيه». لكنه كان يشبب بحبيته بثينة. وهو يعرف أهل الأدب «إمام المحبين». وممن أجاد في هذا الفن ابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة.

٣ - المهاجاة بين الشعراء:

كثر الهجاء في العصر الأموي، وأجاد فيه شعراء كثيرون.

وسميت قصائدهم في هذا المجال - بالنقائض . الذي برز فيه الثالث الأموي الأخطل وجريير والفرزدق . ومنه نشأ .

أ - الهجاء السياسي : وهذا الهجاء أصبح حاجة مهمة للدولة والأمراء ، بسبب ما ساد المجتمع من انقسام بين القبائل والأحزاب المختلفة . واقتضت سياسة الأمويين ومصلحتهم أن يجددوا الضغائن ، فكان شعراء البلاط الأموي يهجون الأنصار لأنهم أصحاب علي بن أبي طالب . والذي قاد هذا الهجوم هو الأخطل . فرد عليه شاعر الأنصار النعمان بن بشير . وتحولت المهاجاة بين الأنصار وقريش إلى المشاتمة بين بني هاشم وبني أمية .

ب - الهجاء الأدبي : إن الهجاء السياسي جر إلى الهجاء بين الشعراء بغض النظر عن الانتماءات السياسية والصراعات القبلية . وكان الغرض منه إثبات الذات الأدبية على الساحة . وأهم من صور هذا الهجاء «جميل الشاعر المتيّم وجواس بن قطبة العذري وتنافساً في أيهما أفضل أباً وحسباً» . وهذا الضرب من الهجاء وجدناه في العصر الأموي بين شعراء النقائض : جريير والأخطل والفرزدق . وامتد هذا النوع من الهجاء حتى العصر العباسي وبرز بين «بشار بن برد وحمام» .

٤ - الموالي والشعر :

لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالي إلا عبد بني

الحساس. أما في الإسلام «فانتظم في عداد الشعراء طائفة من
الموالي وهم المسلمون غير العرب» وفيهم الفرس والروم ممن
دخلوا الإسلام.

٥ - الشعر السياسي، أو المديح للاستجداء :

كان المديح بأكثره مصدراً للتكسب والارتزاق. وأصبح
الاستجداء عادة مألوفة. ونبغت فيه مجموعة كبيرة من الشعراء
المداحين. وربما مدح الشاعر عدوين كما حصل عند الفرزدق إذ
مدح بني هاشم وبني أمية.

٦ - الخمرة :

موضوع قديم في الشعر العربي، ولم يبرز كفن بحد ذاته إلا
في العصر العباسي. لكن العصر الأموي كان البذرة والأرض
الطيبة التي نما فيها هذا الفن إثر انغماس الأمويين في الترف
واللهو. وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد، الخليفة
الخليع السكير.

ونلاحظ أن الأمويين كانوا مهتمين باللغة العربية. حيث كانوا
يرسلون أبناءهم إلى البادية لإتقان اللغة واكتساب أساليب البدو
وآدابهم. وظلت العادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالمفاخرة
والمباهلة ومناشدة الأشعار في الأندية العامة. والحقيقة تقال أنه
لم يبلغ العرب من العزم والسؤدد ما بلغوا إليه في أيام الدولة

الأموية . فقد تكاثروا على عهدها وانتشروا في ممالك الأرض ،
واتصلوا بشعوبها وتعرفوا على علومها وآدابها . ويمكننا القول بأن
الأدب العربية ولدت في هذا العصر ، الذي بدأ فيه نقل المعارف
والعلوم والفلسفات من الحضارات الأجنبية إلى الحضارة العربية
الاسلامية .

الفرزدق

٧٣٢ م - ١١٤ هـ (*)

حياته :

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم من تميم .

لقب بالفرزدق لغلاظة وجهه وجهومه^(١)، وكنيته أبو فراس، كانت ولادته في البصرة، ونشأته في باديتها، فشب خالص البداوة جافي الطباع، قوي الشكيمة، لا تلين قناته . وكان شديد التعلق بقومه وبمآثرهم، ومناقبهم، ممّا ملأ نفسه وأفعمها زهواً وكبراً، وفسح له في مجال الفخر على أقرانه، فباهى الناس بأبائه وجدوده .

(*) الفرزدق: الرغيف الضخم التي تجففه النساء للفتوت . وقيل بل هو القطعة

من العجينة التي تبسط فيخبز منها الرغيف .

(١) الجهومة والجهامة : اجتماع الوجه وغلاظته وسماحته .

وكان أبوه غالب من أجود العرب وأكرمهم ، وكنيته أبا الأخطل ،
وكان «سيد بادية تميم وكان أعوراً» .

وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر في الجاهلية ، وهو
الذي أحيا الوثيدة ويقال انه «اشترى ثلاثمائة وستين مؤودة كل
مؤودة بناقتين وجمل . وفيه يقول الفرزدق :

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ
وَأَحْيَا الْوَثِيدَ ، فَلَمْ يُوَادِّ^(١)

وام الفرزدق ليلي بنت حابس ، أخت الصحابي الأقرع بن
حابس .

وكان له إخوة وأخوات . منهم هميم بن غالب ، وسمي
الفرزدق باسمه . وأخ يقال له الأخطل ، أسن منه ، وابنه محمد بن
الأخطل ، كان قد توجه مع عمه الفرزدق إلى الشام فمات بها .
وأخته يقال لها - جعثن - وكانت امرأة صدق .

تزوج من ابنة عمه النوار . والدها أعين بن ضبيعة المجاشعي .
وله معها قصة طويلة ؛ إذ كان الفرزدق وليها ، فخطبها رجل من

(١) منع الوائدات : أي منع النساء من وأد بناتهن ، وهو دفن البنت حية حين
ولادتها ، الوثيد والوثيدة والمؤودة : البنت المدفونة حية . وقوله : لم يواد
بالتذكير : حملاً على اللفظ . وكان العرب في الجاهلية أكثر ما يندون بناتهم في
الجذب . ومنهم من يندها تخلصاً من عار سبيها . وكانت كندة وميم تند بناتها .

دارم فرضيته وأرسلت إلى ابن عمها أن يزوجه إياها، فقال الفرزدق: «لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوجتك». ففعلت، فلما توثق منها وقف في مسجد بني مجاشع بن دارم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء، سوداء الحديقة».

فنفرت منه وذهبت إلى مكة وفيها عبد الله بن الزبير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبّان الفزاري، فتبعها الفرزدق. ولما قدم مكة اشرب الناس إليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستشده ثم شفّعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر حتى إذا صار إلى امرأته قلبته عن رأيه. فمال إلى النوار وأشار عليه بتطبيقها فأبى وهجاه. وظلّ يرقبها حتى اصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ويحكم في أمرهما بني تميم. فلما صارا إلى البصرة، رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها، ومكثت عنده زماناً ترضى عنه حيناً، وتخاصمه أحياناً. ومكث الفرزدق زماناً لا يولد فغيرته - النوار - بذلك. إلى أن أنجب منها بعد ذلك - لبطة، وسبطة ورخصة، وزمعة. واشتدت المخاصمة بينهما، وكثرت المشاكسات، وأراد إغاضتها فتزوج عليها حدراء^(١) بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني. فخاصمته النوار وأخذت بلحيته

(١) الحدراء: الحولاء، أو من لها قرحة في باطن جفنها.

وقالت: «تزوجت أعرابية دقيقة الساقين على مائة بعير». فقال
يفضل عليها حدراء:

لَعَمْرِي لَا عَرَابِيَّةٌ فِي مِظَلَّةٍ
نَظَلَّ بِرَوْقِي بَيْتَهَا الرِّيحُ تَخْفِقُ^(١)
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضِنَاكِ ضِغْنَةٍ
إِذَا وُضِعَتْ عَلَيْهَا الْمَرَاوِحُ تَعْرِقُ^(٢)

ولم يطب للنوار عيش بعد هذا في كنف الفرزدق، فظلت
تستلطفه حتى وافق على طلاقها بشرط ألا تفارقه، ولا تبرح من
منزله، ولا تتزوج رجلاً بعده، ولا تمنعه من مالها الذي كانت تبذله
له، وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل،
وطلقها ثلاثاً. ثم ندم وتحسر. وله فيها شعر كثير منه:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا
عَدْتُ مَنِي مَطْلَقَةً نَوَارِ^(٣)

(١) المظلة: الخيمة. الروق والرواق: سقف في مقدم البيت. تخفق: تصوت عند
هبوبها.

(٢) الضناك: المرأة المكتنزة الثقيلة الجسم. الضغنة: القصيرة الحمقاء في عظم
خلق.

المراوح: جمع المروحة، يقول: يظل جسمها لضخامته يعرق إذا لم يروح له
بالمراوح.

(٣) الكسعي: نسبة إلى كسع وهو حي باليمن أو من بني ثعلبة. ومنه غامد بن
الحارث الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة؛ لأنه رمى حمراً ليلاً فكانت =

وكانت جنتي فخرجت منها
 كآدم حين أخرجه الضرار^(١)
 وكنت كفاقيء عينيهِ عمداً
 فأصبح ما يُضيء له النهار^(٢)

وكان الفرزدق معنأً مَعْنَأً^(٣). يقول في كل شيء، وسريع
 الجواب. فمر بقوم ولهم جنازة فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو
 الخنساء صاحب البغال. فقال:

لَيْبِكَ أبا الخنساء بَغْلٌ وَبَغْلَةٌ
 ومِخْلَةٌ سَوْءٌ أَضْيَعُ شَعِيرَهَا
 ومِجْرَقَةٌ مَطْرُوحَةٌ وَمِخْسَةٌ
 ومِقْرَعَةٌ صَفْرَاءُ بِالِ سَيُورِهَا^(٤)

وتنقل الروايات أن الفرزدق نظم الشعر صغيراً. فجاء به
 أبوه إلى الإمام علي وقال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا مِنْ شِعْرَاءٍ مُضِرِّ فاسمع
 منه» قال: «علمه القرآن».

= السهام تنفذ منها وتصدم الجبل فتوري نارا. فطن أنه أخطأها جميعاً فحنق
 وكسر قوسه، ولما أصبح نظر فإذا الحمر مصروعة وأسهمه بالدم مضرجة فندم
 فقطع إبهامه.

- (١) الضرار: المخالفة. من ضار: خالفه. وأراد بذلك مخالفة آدم وصية الله.
 (٢) عمداً: قصداً. ما يضيء: أي لا يضيء.
 (٣) المعن: الخطيب الذي يدخل في كل شيء. المعن: الذي يفن في كلامه
 أي يأتي فيه بالافانين.
 (٤) المحسة: آلة يتغض بها الغبار عن الدواب. المقرعة: السوط.

وكان ذا بديهة وذكاء نادرين . ومما جاء في أخبار المؤرخين :
«أن خلف بن خليفة ، كان ظريفاً ، شاعراً ، راوية . وكان (أقطع) .
له أصابع من جلود . فمَرَّ بالفَرزدق يوماً فقال له : يا أبا فراس من
الذي يقول :

هو القَيْنُ وابنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ
لِفَطْحِ المِساخِي أو لِحِجْدَلِ الأَداهِمِ^(١)
قال الفرزدق : «يقول الذي يقول :

هو اللص وابن اللص لا لَصٍّ مِثْلُهُ
لِنَقَبِ جِدارٍ أو لِسَطْرِ الدِّراهِمِ^(٢)
وأتى حفصاً السَّراجَ يشتري منه سَرَجاً فمرت به امرأة جميلة ،
وفي يده سرج ينظر إليه . فألقى السرج من يده وقال :

منع الحياة من الرجال ونفَعَهَا
حَدَقُ تُقْبِلُهَا النِّساءُ مِراضُ^(٣)
خَرَجْتُ إِلَيْكَ ولم تكن خِراجَةً
فَأَصِيبَ صَدْعُ فَوادِكَ المِناهضُ^(٤)

(١) فصح الماساحي : بريها .

(٢) طر الدراهم : سلبها .

(٣) الحدق : العيون . المراض : التي فيها فتور .

(٤) المنهاض : المتكسر .

وكانَ أفئدةَ الرجال إذا رأوا
حَدَقَ النساءِ لنبيلها الأغراض^(١)

وتنقل الروايات أن خالد بن صفوان، رآه يوماً وكان يمازحه فقال: «يا أبا فراس ما أنت بالذي لَمَّا رأيته أكبرنه وقطعنَ أيديهنَّ»^(٢) قال: «ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبتِ استأجره إنَّ خير من استأجرتَ القويُّ الأمين»^(٣)

وجاء عنبسة بن معدان، إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس فخرکه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس، قال: نعم ورأيت أباك ينتظرك.

تشيعه :

كان الفرزدق يتشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه. ويجاهر بحبه وولائه لهم. فإذا مدحهم تدفق شعره عاطفة وحماسة. فلا ترى فيه أثراً للتكلف. وخير دليل على صدق موالاته آل بيت النبي ﷺ قصيدته في زين العابدين. فهي من أبلغ الشعر وأخلصه عاطفة. أنشدها في وجه هشام بن عبد الملك. وسنأتي على ذكرها في باب المديح من هذه الدراسة.

(١) الأغراض: الأهداف.

(٢) سورة يوسف، الآية ٣١.

(٣) سورة القصص، الآية ٢٦.

اتصاله بالأمويين :

على أن تشيعه لم يمنعه من التقرب إلى الأمويين . فمدحهم رهبةً منهم أو رغبة في نوالهم . وأكثر مدائحه في سليمان بن عبد الملك . ولكنه لم ينل حظوة الأخطل عندهم ، ولا قدر له أن يمدحهم بمثل ما مدح الأخطل الأمويين . فكان يتكلف المديح بين أيديهم . ويدعوه الخليفة أحياناً إلى مديحه ، فيعمد إلى الافتخار بنفسه ، لأنه ربما لم يستطع أن يسخر عاطفته وهواه . وهذا ما فعله في حضرة سليمان بن عبد الملك لما استنشده فيه أو في أبيه فأنشده مفتخراً عليه :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ
لَهَا تِرَّةٌ ، مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ^(١)
سَرَوْا يَخْطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ
إِلَى شُعَبِ الْاَكْوَارِ ، مِنْ كُلِّ جَانِبِ^(٢)
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَاراً يَقُولُونَ : لَيْتَهَا
وَقَدْ خَصَرْتُ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ^(٣)

فتبين غضب سليمان ، وكان نُصِيبُ الشاعر حاضراً فأنشده

-
- (١) الركب: المسافرون فوق الإبل . ترة: ثأراً . العصائب: العماثم .
(٢) ساروا: ساروا ليلاً . يخطون الليل: يسيرون فيه على غير هدى . شعب
الأكوار: نواحيها .
(٣) استوضحوا: وضعوا أيديهم على عيونهم لينظروا الشيء البعيد . خصرت:
بردت .

أبياتاً يمدحه بها. فقال الخليفة: «يا غلام أعط نصيباً خمس مائة دينار، والحق الفرزدق بنار أبيه». فخرج الفرزدق غاضباً يقول:

وخير الشعر أكرمهُ رجلاً
وشرُّ الشعرِ ما قال العبيد^(١)

ومدح عمال بني أمية ثم هجاهم. وهكذا فعل مع الحجاج ومع آل المهلب. لهذا القلب لم يكن مقبولاً عندهم كما الأخطل.

الفرزدق الطريد:

وكان خبث لسانه وسلاطته يساعدان أولي الأمر على أذيته. فإذا هجا قوماً، أو نال من حرمتهم، استعدوا عليه السلطان، فيطارده فيفر من وجهه. حتى يقع بين يديه، فيحبس أو ينفى، ويكفي الناس شر لسانه ولو إلى حين.

ويحدثنا صاحب الأغاني: «أن الفرزدق كان يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم وكلاهما من دارم. فاستعدوا عليه زياد ابن أبيه وهو على البصرة من قبل معاوية. ففر الفرزدق إلى المدينة مستجيراً بعاملها سعيد بن العاص فأمنه. ثم ولي المدينة مروان بن الحكم. فعلم أن الفرزدق يشرب الخمر ويدخل إلى القيان، فدعاه وتوعده وقال: «اخرج عني». فعزم على

(١) كان نصيب مولى حبيلاً لبني كعب فاشتره عبد العزيز بن مروان، وهو شاعر مجيد. ويعرض الفرزدق به بقوله: وشر الشعر ما قال العبيد.

الشخص إلى مكة. فكتب مروان إلى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بأن يصله بمائتي دينار. فارتاب الفرزدق بكتاب مروان فجاء إليه يقول:

مروانُ إنْ مطيتني معقولةً
ترجوا الحباء وربُّها لم يُئاسِ^(١)
أتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ
يُخشى عليَّ بها جِباءُ النَّقرسِ^(٢)
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ لا تكنُ
نكساءً مثْلَ صحيفةِ المتلمسِ^(٣)

ثم رمى الصحيفة، فضحك مروان وقال: «ويحك إنك أُمِّي لا تقرأ، فاذهب بها إلى مَنْ يقرأها ثم ردها حتى أختتمها. فذهب بها، فلما قرئت له إذا فيها جائزة فردها إلى مروان فختمها». وبقي الفرزدق طريداً شريداً، هائماً في البلاد، بعيداً عن موطنه - البصرة - وعن أهله وعشيرته حتى هلك زياد. جينه:

كان الفرزدق جباناً حسب قول الروايات. وهذا متأصل فيه رغم

(١) مطيتي: دابتي. معقولة: محبوسة. الحباء: العطاء. ربها: صاحبها.
(٢) النقرس: ورم في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.
(٣) قوله: لا تكن، مجزوم بجواب الأمر وهي بمعنى لئلا تكون ولا حرف نفي.
وصحيفة المتلمس مشهورة في تاريخ الأدب العربي. وكان ضحيتها طرفة بن العبد.

إعجابه بنفسه ومباهاته بأصله . ووقف قتاله في الحياة بلسانه فقط وكان عنده أمضى من السيف، وأحد من الخنجر . وكان خصومه يتخذون من جنبه ذريعة للتندر عليه . وله معهم أخبار كثيرة منها التي رواها أبو عبيدة عن رؤية بن العجاج قال: «حجّ سليمان بن عبد الملك وحجت الشعراء معه، فلما جاء المدينة تلقوه بنحو أربع مائة أسير من الروم فقعده يدفعهم إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم . حتى وقع إلى جرير رجل منهم فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضربه فأبان رأسه . ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً، فدرسوا إليه سيفاً قليلاً فضرب الأسير فلم يصنع شيئاً، فضحك القوم به ومن سوء ضربته، وشمّت بنو عبس فغضب الفرزدق وأنشأ يقول:

إن يك سيف خان أو قَدرُ أبي
لتأخير نفس حتفها غيرُ شَاهِدٍ^(١)
فسيفُ بني عبسٍ، وقد ضربوا به
نبا يدي ورقاء عن رأس خالد^(٢)

(١) الحذف: الموت . شاهد: حاضر . يقول: أبي القدر أن يقطع السيف ليؤخر موت نفس لم يحضر أجلها بعد .

(٢) نبا السيف: إذا لم يقطع . ورقاء: هو ابن زهير بن جذيمة العبسي رأى والده تحت صدر خالد بن جعفر بن كلاب، وخالد مكب عليه . فجاء ورقاء لإنقاذ والده فضرب خالد ضربات فلم يصنع شيئاً وقتل والده .

كذلك سيوف الهند تنبو ظبأتها
ونقطعن أحياناً مناط القلائد^(١)
وقال أيضاً:

أعجبُ الناس ان أضحكتُ خيرهم
خليفة الله يستسقى به المطر^(٢)
لم ينبُ سيفي من رُعب ولا دهش
عن الأسير ولكن آخر القدر^(٣)
ولن يقدم نفساً، قبل مُدتها
جمعُ اليدين ولا الصمصامة الذكر^(٤)

ثم مضى وهو يقول:

ما إن يُعابُ سيدٌ إذا صبا
ولا يُعابُ صارمٌ إذا نبا
ولا يُعابُ شاعرٌ إذا كبا^(٥)

(١) سيوف الهند: أي المصنوعة في الهند. الطبات: جمع الطبة وهي حد السيف.
مناط القلائد: كناية عن الأعناق.

(٢) خيرهم: أي سليمان.

(٣) الدهش: الحيرة والذهول.

(٤) الصمصامة: السيف القاطع. الذكر: السيف اليابس الصلب. جمع اليدين:
أي الأسر والاعتقال.

(٥) صبا: إذا صبت نفسه ومالت. كبا: سقط على وجهه.

فشمت به جرير إثر هذه الحادثة . وعيَّره بقوله :

سيف أبي رغوان سيف مجاشع
ضربت ولم تضرب سيف ابن ظالم^(١)

ضربت به عند الإمام فأرعشت
يداك، وقالوا: محدث غير صارم^(٢)

فرد عليه الفرزدق بقوله :

ولا نقتل الأسرى، ولكن نفكهم
إذا أثقل الأعناق حمل المغارم^(٣)
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم
أباً عن كليب، أو أباً مثل دارم؟^(٤)

(١) يقول: إنَّ السيف الذي ضربت به لم يعود القطع لأنه سيف بني مجاشع بن دارم الجبناء لا سيف الحرث بن ظالم المري . وكان الحرث من فتاك العرب فتك بخالد بن جعفر وهو إذ ذاك نازل على النعمان بن المنذر . وبنو مرة وبنو عيس أبناء أعمام كلهم من غطفان . يرد جرير على الفرزدق لتعبيده بني عيس بسيف ورقاء فيشير إلى سيف الحرث بن ظالم تنبيهاً على أن بني عيس أدركوا ثأرهم من خالد بن جعفر قاتل زهير .

(٢) الإمام : الخليفة ، أرعشت : ارتعدت من الخوف . محدث : حديث العهد بحمل السيوف . غير صارم : غير قاطع .

(٣) المغارم : جمع المفروم وهي الغرامة . يقول : نحن تفك الأسرى إذ عجزوا عن دفع الغرامة ليفتدوا أنفسهم .

(٤) كليب : قبيلة جرير . وقوله : أباً عن كليب : عوضاً عنه .

موته :

وفي آخر أيامه أصابته الدُّبَيْلَةُ^(١)، فقدم به إلى البصرة، وأتي بطبيب فسقاه قاراً أبيض، فجعل يقول: «أتعجلون لي النار في الدنيا» ومات وقد قارب المئة. وقيل له في مرضه الذي مات فيه اذكر الله، فسكت طويلاً ثم قال :

إلى من تفرزعون إذا خَشَوْتُمْ
بأيديكُمْ عليّ من التُّرابِ^(٢)

ومن هذا يقوم لَكُمْ مقامِي
إذا ما الرِّيقُ غَصَّ بذِي الشرابِ^(٣)

فقالت له مولاة له، تفرزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

ويحدثنا صاحب الأغاني: «أن لَبَطَةَ بن الفرزدق قال: إِنَّ أباه أصابته ذاتُ الجنب، فكانت سبب وفاته، ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلوه في قدح وسقوه إياه. فقال: يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار».

(١) الدبيلة: دمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها.

(٢) تفرزعون: تلجأون وتستغيثون. حثوتم: صيتم. حثا: التراب على الميت: صبّه عليه ليواريه.

(٣) يعني من يكون لأهله بعده.

وكانت وفاته في ولاية هشام بن عبد الملك . ومات قبل جرير ،
فلما بلغ جريراً موته قال :

هلك الفرزدق بعدما جدّعتُهُ
ليت الفرزدق كان عاش طويلاً
ثم أطرق طويلاً وبكى . فقيل له : يا أبا خزيمة ما أبكاك . قال :
بكيت لنفسي إنه والله قلّ ما كان اثنان أو مصطحبان أو زوجان ، إلّا
كان أمد ما بينهما قريباً . ثم أنشأ يقول راثياً الفرزدق :

فجعنا بحُمّال الدّيات ابن غالب
وحامي تميم عرّضها والبراجم^(١)
بكيّناك جذّان الفراق وإنّما
بكيّناك إذ نابتْ أمورُ العظامم
فلا حملتْ بعد ابن ليلى مهيرةً
ولا شدّ أنساعُ المطيّ الرّواسم^(٢)

آثاره :

ترك الفرزدق ديوانه الذي طبع ، وأكثره في المدح والفخر
والهجاء . وهناك الغزل القليل الذي لا يصل فيه إلى مرتبة جرير . وأهم
ما يلفت النظر في شعره تلك النقائص التي حصلت بينه وبين

(١) البراجم : مفاصل الأصابع .

(٢) النسع : نوع من الجلد عريض تشد به الرجال . الرواسم : الجمال السائرة .

جرير. وقد طبعت النفاضة في ليدن فجاءت في مجلدين ضخمين. وهو في شعره يكثر من القصائد القصيرة. وهناك القصائد الطويلة وأهمها التي مطلعها:

عَزَفْتُ بِأَعَشَاشٍ وَمَا كَذْتُ نَعْرِفُ
وَأُنْكُرْتُ مِنْ حُدْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ^(١)

وكما ورد أنه كان يكثر من القصائد القصيرة، ويفضلها على الطويلة، فسئل يوماً: «ما بال قصارك أكثر من طوالك؟» فأجاب «لأنني رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجول».

منزلته:

عده ابن سلام في الطبقة الأولى من الإسلاميين، وقدمه في الذكر على جرير والأخطل. وقال: «كان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقديماً شديدة». وقال جرير: «الفرزدق نبتة الشعر^(٢)».

وقال أبو عبيدة: «كان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير» وقال أيضاً «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».

وقال أبو الفرج الأصفهاني: «والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحلّه في الشعر أكبر من أن يُنبّه

(١) عزفت: رجعت عن باطلك. أعشاش: اسم موضع. حدراء: زوجه.

(٢) النبتة: شجرة من أجود الشجر وأصلبه.

عليه بقول، أو يُدل على مكانه بوصف. أما من يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمع السهل الغزل فيقدم جريراً.

وقال الفرزدق: «قد علم الناس أنني أفحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة وقلع ضررس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت». وقال مالك بن الأخطل: «جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر».

وسئل ابن داب عن رأيه في جرير والفرزدق، فقال: «الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة».

وعطفاً على قول مالك بن الأخطل «جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر» فإنه في هذا يصف قوة وصلابة شعر الفرزدق، وخشونة ألفاظه. وفي كلام الفرزدق عن نفسه ما يعلمنا أن الشعر كان يعصيه أحياناً، ولا يأتيه إلا بعد تعب ونحت. والشعر المنحوت يكثر فيه التكلف اللفظي ويقل الطبع. وقد أفرط الفرزدق باستعمال الوحشي من الكلام حتى قال فيه أبو عبيدة: «ولولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب». وهذا الوحشي في شعره شيء من طبعه الذي تطبع به في بادية قاسية. وشعره صفحة عن واقعه، فيه كثير من أيام العرب، وعاداتهم وأخلاقهم.

ومنزلة الفرزدق قائمة على ما حدث بينه وبين جرير، وعلى

التفاضل بالتحديد. فإن مهاماته لجريز جعلت الناس في صدر الإسلام ينقسمون حزبيين : حزباً فرزدقياً، وآخر جريرياً. وكان كل فريق يعمل لصالح شاعره، ويتعصب له، ويفضله على أقرانه، حتى بلغ من أحد الفرزدقين أنه عقد جائزة قيمتها أربعة آلاف درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير. ومع هذا كله فإنه لم يبلغ شأواً الأخطل في المدح إلا أنه تجاوزه وتجاوز جرير في الفخر. ووقف أربعين سنة أمام جرير في الهجاء. لكنه لم يرق منزلته بالغزل والرثاء. وذلك ناتج عن تكوينه الصحراوي، إذ تصلبت عاطفته وكادت أن تبيس أحاسيسه.

ومما يروى عنه أنه اشتهر وأكثر من سرقة الشعر، فكان لا يسمع بيتاً عائراً^(١) إلا قال لصاحبه: «لتركن هذا البيت لي أو لتركن عرضك». فيتركه له خوفاً من لسانه. فينتحله الفرزدق ويدمجه في شعره. وكان يقول: «خير السرقة ما لا يجب فيه القطع»^(٢).

ويروي صاحب الأغاني: «أن الفرزدق مرّ يوماً بالشمرذل وهو ينشد قصيدة حتى بلغ إلى قوله:

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً
وبين تميمٍ غيرَ حَزْ الغَلاصِمِ^(٣)

(١) العائر: السائر بين الناس.

(٢) القطع: أي قطع اليد. وكان السارق تقطع يده عملاً بالشرع الإسلامي.

(٣) الغلاصم: جمع الغلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم. بقول بين تميم ومن يعصها حَزْ الأعناق.

فقال: «والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك». قال:
«خذه على كره مني». فأخذه الفرزدق ووضعه في إحدى قصائده.
ومرّ بابن ميادة وهو ينشد:

لو أن جميع الناس كانوا يربو
وجئت بجدي ظالم وابن ظالم^(١)
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا
سُجوداً على أقدامنا بالجمام

فقال: «أما والله يا ابن الفارسية لتدعنه لي أو لأبشّر أمك من
قبرها» فقال له ابن ميادة: «خذه لا بارك الله لك فيه».
وبالرغم عن هذا فإن فضله على الشعر كبير، لا يقل عن فضل
صاحبيه الأخطل وجريز.

(١) الربوة: ما ارتفع من الأرض قليلاً.

أغراضه الشعرية

- ١ - الهجاء .
- ٢ - الفخر .
- ٣ - المديح .
- ٤ - الغزل والنسيب .
- ٥ - الرثاء .
- ٦ - الزهد .
- ٧ - نقده .

الهجاء والفخر عند الفرزدق :

إنَّ أول ما يلفت النظر في ديوان الفرزدق، تلك الكمية الهائلة من القصائد الهجائية. ولا عجب في ذلك لأن حرب الهجاء التي دارت بينه وبين جرير والتي استمرت أربعين سنة، أسفرت عن نتاج كبير في هذا الغرض.

والسبب في تهاجي الفرزدق وجرير أنَّ شاعراً من بني يربوع يقال له غسان السليطي هجا جريراً فرد عليه جرير فأخزاه. فشكا آل يربوع إلى البعيث المجاشعي قهر جرير صاحبهم. فجعل البعيث يقول: «وجدنا الشرف والشعر في بني النوار بنت مجاشع». فبلغ ذلك جريراً فهجا البعيث وقومه، فجاء البعيث إلى بني الحَظَفي رهط جرير، وقال: «يا قوم عَجِلْتُمْ عليّ. فقالوا: بلغنا عنك أمر فإن شئت قلت كما قلنا، وإن شئت صَفَّحْتُ؛ فقال: بل أصفح» فأقام مجاوراً لهم ثلاث سنوات ثم إنّه

فارقهم راضياً. فقدم على ناس من بني مجاشع فسألوه عن بني الخطفي فأثنى عليهم خيراً، فقال رجل منهم: «لَحُسْنُ مَا جازيتهم على الذي قالوا لك». ثم أنشده قول جرير فيه، ولم يزلوا به حتى أغضبوه فهجا بني كليب، فقالت بنو كليب لعطاء بن الخطفي: «اركب إلى بني مجاشع واستنهم من أنفسهم فقد قالوا كما قيل لهم». فأتاهم عطاء فقال: «أي بني مجاشع الأخوة والعشيرة، وقد قلت كما قيل لكم فانتهاوا عنا». فأبى البعيث إلا هجاءهم، فلحم الهجاء بين البعيث وجرير فسقط غسان. ثم استطال جرير وأفحش القول في نساء مجاشع. فضج البعيث إلى الفرزدق وهو يومئذ بالبصرة وقد قيد نفسه وآلى ألا يفك قيده حتى يقرأ القرآن.

وأقبلت عليه نساء مجاشع وقلن له: «قبح الله قيدك وقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم» فأحفظنه ففرض قيده وقال:

ألا استهزأت مني هُنَيْدَةُ أَنْ رَأَتْ
أُسَيْراً يُدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْجِجَلِ^(١)
وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْوِثَاقَ أَشَدُّهُ
إِلَى النَّارِ قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ^(٢)

(١) هنيذة: هي امرأة الزبرقان بن بدر ابن عمه الرسول، وزوجته هذه كانت عمه الفرزدق. الحجل: يعني به القيد.

(٢) يقول إنها سخرت منه إذ رآته مقيداً والقيد في قدميه.

لَعَمْرِي لئن قِيدْتُ نَفْسِي لَطَالَمَا
 سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمَطِيَّةَ لِلْجَهْلِ (١)
 أَتَنِي أَحَادِيثَ الْبُعِيثِ وَدُونَهُ
 زُرُودَ فَشَامَاتِ الشَّقِيقِ إِلَى الرَّمْلِ (٢)
 فَقُلْتُ أَظُنُّ ابْنَ الْخَبِيثَةِ أَنَّنِي
 شُغِلْتُ عَنْ الرَّامِي الْكِتَانَةَ بِالنَّبْلِ (٣)
 فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ
 فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ (٤)
 أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا
 يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي (٥)
 فَهَمَّا أَعِشْ لَا يُضْمِنُونِي وَلَا أَضْغُ
 لَهُمْ حَسْبًا مَا حَرَكْتُ قَدَمِي نَعْلِي (٦)

(١) يعني به أنه كان يتلو القرآن لأنه يخشى يوم الدين. وإن أوثق شيء بالمرء نار جهنم وهي تلتصق به ولا تفارقه.

(٢) البعيث: هو البعيث المجاشعي، وهو شاعر خذله جرير.

(٣) يقول إنه عرف أنني قيدت نفسي، فتوهم أنني أهملت قومي.

(٤) يعني بقوله أنه نذر نذراً حتى يتم قراءة القرآن، ولكنه لا يشغل عن الذب عن أحساب قومه.

(٥) يقول إنه هو من يحميهم أو يدافع عنهم أو من كان مثله.

(٦) يقول إنهم لا يدفعونني إلى الدفاع عنهم، كما إنه لن يتخلف عن حمايتهم ما دام قادراً على السعي.

ولستُ إذا ثار الغبار على أمريء
غداة الرهان بالبطيء ولا الوغل^(١)
ولكن تُرى لي غاية المجد سابقاً
إذا الخيلُ قادتها الجيادُ مع الفحل^(٢)

يبدأ قصيدته بمطلع وجداني ، وكأنه أحس بما أصاب نساء
قومه . فأتينه مستهزآت به ، لأنه لم يرفع صوته ويرد على جرير .
وهو الذي كان قد قيد نفسه تخفيفاً لنذر قد قطعه على نفسه وهو
قراءة القرآن . ولكن عندما أتته أخبار البعث وما فعل به جرير ، قام
ورد على جرير ، الذي يعرف أن الفرزدق قيد نفسه لقراءة القرآن ،
وعليه ألا يتوهم أنني أهملت قومي وعشيرتي ، والمدافعة عن
أحسابهم ، وأنه هو من يحميهم ويدافع عنهم ، ويكون ذلك
باختياره ، لا أحد يدفعه إلى ذلك . كما وإنه لن يتخلف عن
حمايتهم ما دام قادراً على السعي ، وأنه لا يخشى المعارك وغبار
القتال والسباق إلى المعركة ، ولا يجبن عن التعرض لمن يناوئه .
وهو فارس قدير ، ويستطيع أن يسبق الخيل ، ويدرك غاياته ومراميها
التي نذر نفسه من أجلها .

ومن أخباره أنه هجا البعث نفسه لعجزه عن مقاومة جرير

(١) الوغل : الضعيف . الرهان : السباق . يقول : إنه لا يخشى غبار القتال والسباق
وإنه لا يجبن عن التعرض لمن يناوئه .

(٢) يعني أنه يسبق الخيل كلها ويدرك الغاية من دونها .

فسقط البعيث. قال ابن سلام: «ولجّ الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من أربعين سنة لم يغلب واحد منهما على صاحبه، ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا في الإسلام بمثل ما تهاجيا به.»

ومن هجانه لجرير قوله (٢٠):

غَرَّ كَلِييَا، إِذْ أَصْفَرْتُ مَعَالِقَهَا
بِضَيْغُمِي كَرِيهِ الْوَجْهِ وَالْأَثَرِ (١)
شَرِبُ الرِّثِيَّةِ حَتَّى بَاتَ مُنْكَرِسَا
عَلَى عَطِيَّةٍ بَيْنَ الشَّاءِ وَالْحَجَرِ (٢)
وَرَدُّ السَّرَاةِ تَرَى سُودَاً مَلَاغِمُهُ
مُجَاهِرُ الْقَرْنِ لَا يَكْتَنُ بِالْخَمْرِ (٣)
كَأَنَّ عَيْنِيهِ وَالظُّلُمَاءُ مُسْدِفَةٌ
عَلَى فَرِيسَتِهِ، نَارَانِ مِنْ حَجَرٍ (٤)

(*) الديوان - ص ٤٨٩.

(١) المعالِق: قدح اللبن. واصفراره كناية عن السمن والخضب. الضيغمي: الأسد وهو هنا الفرزدق.

(٢) الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو. المتكرس: المتجمع. عطية: والد جرير.

يعيره بشرب والده الحليب ورعيه الأغنام.

(٣) ورد السراة: أحمر الظهر. الملاغم: الأنف. يكتن: يستتر. الخمر: الشجر المظلل والمخفي.

(٤) يقول: إن عيني الأسد تلتهمان في الليل على الفريسة كالنار.

كَانَ عَطَّارَةٌ بَاتَتْ تَعْمَلُ لَهُ
 بِالزَّعْفَرَانِ ذِرَاعِي مُخْدِرٍ مَقْصِرٍ^(١)
 تُشْلِي كِلَابَكَ وَالْأَذْنَابُ شَائِلَةٌ
 إِلَى قُرُومٍ عِظَامِ الْهَامِ وَالْقَصْرِ^(٢)
 مَا تَأْمُرُونَ عِبَادَ اللَّهِ أَسْأَلُكُمْ
 بِشَاعِرِ حَوْلَهُ دُرْجَانٍ مُخْتَمِرٍ^(٣)
 لَئِنْ طَلَبْتُمْ بِهِ تَأْرِي لَقَدْ عَلِمْتُ
 أَنِي عَلَى الْعَقَبِ خَرَّاجٌ مِنَ الْقَتْرِ^(٤)
 وَلَا يَحَامِي عَنِ الْأَحْسَابِ مُنْفَلِقٌ
 مُقْتَنِعٌ حِينَ يُلْقَى فَاتِرُ النُّظَرِ^(٥)

إنه يهجو جريراً بأبيه عطية، ويعيره بأن والده يشرب الحليب،
 ويرعى الغنم. ويصف نفسه بالأسد الهصور، أسد أحمر الوجه،
 يتصدى للخصوم ولا يختبئ بين الأشجار. وعينه تلمعان في
 الليل على فريسته فتخالهما كالنار في وسط الظلمة، وذلك دليل
 قوة وبأس. ويشيد بنفسه وقوته حتى أصبحت يدها مخضبتيان بالدم

(١) يقول: إن يديه مخضبتيان أبداً بالدم، وكأنما صبغتهما له عطارة.

(٢) يعني بقوله أنه يبعث كلابه لهجاء قوم أسياذ كبار الهامات. القصر: الاعناق.

(٣) الدرجان: جمع الدرج، وهو وعاء طيب عند المرأة. المختمر: لايس لباس المرأة.

(٤) العقب: الجري بعد الجري. القتر: غيار القتال.

(٥) يصفه بصفات المرأة المحببة، وأنه فاتر اللحاظ كالنساء أو المخشئين.

وكانما صبغت هماله عطارة. وهو بهذه القوة والمركزة لا يتضغ ويهاجي جريراً، بل إن كلابه قادرة على هجاء أسياد القوم وكبار الهامات. وهنا تحقير لا ذع. ويصفه بامرأة وضعت خمارها عليها وبعدت عن الناس، وهي ذات صفات قبيحة. ألحاظها فاترة، وهي مخنثة. وكل هذه الصفات ألصقها بجرير.

فالهجاء صفة لازمت شعر الفرزدق. وإذا أراد أن يهجو وضع نفسه في مرتبة يتضاءل دونها خصمه. وشرع بعد مفاخر قومه، ويذكر مالهم من الأيام وما هم عليه من كرم وخير، ونجدة وإباء. وكان له من شرف قبيلته ومآثر أبائه، ما فسح له في مجال الفخر والاستعلاء. وهو على شدة إعجابه بقومه لا يغفل عن الافتخار بنفسه - كما لاحظنا في القصيدة السابقة - فهو الأسد، وحامي الديار، ومستجيب دعوة الملهوفات من النساء. وهجاؤه مرّ علقم لا ينتهي إلا بالشتيعة والسباب، ونشر الأعراض والمخازي للمهجو ولقبيلته. وهنا يتحقق عنده شرطان من شروط الهجاء: الهجاء الفردي، والهجاء الجماعي. وطبعاً لا يتحقق هذا إلا بالألفاظ الجافة الفاحشة، والأخبار الشائنة الناشزة. حتى ليصبح شعره بؤرة فجور وفساد. ونرى هذا في قوله:

لولا فوارس تغلب أبنة وائل
نزل العدو عليك كل مكان^(١)

(١) تغلب ابنة وائل بإعادة الصفة إلى القبيلة. وتغلب بن وائل بإعادتها على الأب.

حبسوا ابن قيصرَ وابتسوا برماحهم
يَوْمَ الْكُلابِ كَأَفْضَلِ الْبَنِيانِ^(١)
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هَنْدٍ عَنْوَةً
عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النِّعْمَانِ^(٢)
إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا
كَلْبٌ عَرَى، مُتَهَتِّمٌ الْأَسْنَانِ^(٣)

فعلى هذا النحو كان هجاء الفرزدق لجريز وافتخاره عليه . إنه يمزق عرضه وأعراض بني كليب أجمعين ، ذاكرًا سوءاتهم ، فاضحًا نساءهم ، معدداً انكساراتهم وله في ذلك أسلوب خاص لا يتعداه . ولا يتجاوزة ، فهو لا يستطيع أن ينكر أن كليباً من تميم وأنهم أبناء عمه على الرغم منه ، ولكنه يجعلهم أذل بني تميم وأحققرهم وأخسهم وأجبنهم ، ثم يجعلهم يتناولون إلى دارم ويتحلون نسبها . ودارم تردهم عنها . وإذا افتخر بأيام بني تميم جعل الفضل فيها لبني دارم ، وإذا ذكر ما عليها من الأيام حصر مخازيها ببني كليب . فجماعة جريز عند الفرزدق أعجز من أن يطاولوا دارمًا ، ويصلوا إلى مستواها .

(١) حبسوه : أي ردهو عن أن يبلغكم ، وابتسوا : بنوا شرفاً . الكلاب : ماء لبني تميم وفيه كان يوم الكلاب وهو لتغلب على تميم .

(٢) عمرو بن هند ملك العراق ، قتله عمرو بن كلثوم التغلبي . عنوة : اقتداراً .

(٣) الأراقم : حي من تغلب . قديمها : حسبها القديم . متهتّم : منكسر أي هرم فذهبت أسنانه .

ومن فخره بقومه هذه الأبيات :

لَنَا عَدَدٌ يُسْرِي عَلَى عَدَدِ الْحَصَى
وَيُضَعِفُ أَضْعَافاً كَثِيراً عَذِيرُهَا^(١)
وَمَا حُمِلَتْ أَضْغَانُنَا مِنْ قَبِيلَةٍ
فَتَحْمِلَ مَا يُلْقَى عَلَيْهَا ظُهُورُهَا
إِذَا مَا التَّقَى الْأَحْيَاءُ ثُمَّ تَفَاحَرُوا
تَقَاصِرُ عِنْدَ الْحَنْظَلِيِّ فُخُورُهَا^(٢)
وَإِنْ عُدَّتِ الْأَحْسَابُ يَوْماً وَجَدَتْهَا
يَصِيرُوا إِلَى خِيٍّ تَمِيمٍ نَفُورُهَا
تَمِيمٌ هُمْ قَوْمِي فَلَا تَعْدِلْنَهُمْ
بِحَيٍّ إِذَا اعْتَزَ الْأُمُورَ كَبِيرُهَا^(٣)
هُمْ مَعْقِلُ الْعِزِّ الَّذِي يَتَقَى بِهِ
ضُرَاسُ الْعِدَى وَالْحَرْبُ تَغْلِي قُدُورُهَا
مُلُوكُ تَسُوسُ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرُهُمْ
إِذَا أَنْكَرَتْ كَانَتْ شَدِيداً نَكِيرُهَا
وَرَثْنَا كِتَابَ اللَّهِ وَالْكَعْبَةَ الَّتِي
بِمَكَّةَ مُحْجُوباً عَلَيْهَا سُتُورُهَا

(١) العدير : النصير .

(٢) الحنظلي : نسبة إلى حنظلة وهي أكرم قبيلة في بني تميم .

(٣) اعتز الأمور : غلبها في العز .

وأفضل من يمشي على الأرض حيناً
وما ضمنت في الذاهين قبورها
لنا دون من تحت السماء عليهم
من الناس طراً شمسها وبدورها
ولو أن أرض المسلمين يحوطها
سوانا من الأحياء ضاعت ثغورها.

إنه معجب بأصله وقومه . بهم يتفاخر، وبهم يعلو فوق
الناس . فهم بنظره قوة أساسية بدونها لا ركيزة للإسلام . فعددهم
لا يحصى ، فكيف إذا أضيف إليهم الأحلاف والأنصار . وهم
الشرف والكرم ، والنسب والحسب . وهم الجود ومنهم
الحنظلي - نسبة إلى حنظلة وهي أكرم وأجود قبيلة في بني
تميم . كل هذه الصفات الحميدة تجسدت بقومه وعشيرته . فتاه
زهواً وكبراً ، وارتفع فوق كل القبائل ، لأن تميم قبيلته تملك العز
ولا أحد يستطيع أن يغلبها بالصفات الحميدة التي شكلت لديها
إراثاً يتوارثه الأبناء عن الأجداد . وتميم ذاتها سادت الناس وساست
الجماعات والمجتمعات ، منها الملوك والأمراء ، وفيها الرجال
الأشداء ، والشعراء والمبدعون في كل مجال وفن . هم الملوك
الذين يُحبسون سياسة الناس . وهم ورثة كتاب الله ، وكعبته . وهم
المفضلون في الدنيا والآخرة . ليس هذا فحسب بل إنهم هم
المدافعون عن الإسلام وبلاد المسلمين . فلولا تميم ووقفها

للدفاع عن أرض الإسلام في الثغور، لكان الأعداء نفذوا إلى البلاد الإسلامية. لكن تميم هي التي حمت الثغور، وحمت الإسلام والمسلمين.

والحقيقة أنه لم ينج إنسان من لسان الفرزدق، فهجا الشعراء وهجا الخليفة هشام بن عبد الملك، وتناول الحجاج بن يوسف، والمهلب وغيرهم الكثير. حتى كأنه خلق للهجاء ولمسبة الناس. إلا أنه لم يبق على حال، ولم يثبت على موقف تجاه الأمويين. وتراه يمدح اليوم من كان بالأمس هجاء والعكس صحيح في كل مواقفه.

ومن فخره أيضاً قوله:

أنا ابنُ العاصمينَ بني تميم
إذا ما أعظمَ الحَدَثانِ ناباً^(١)
نما في كلِّ أضيْدٍ دارمي
أغرَّتْ رِيَّ لِقُبَّتِهِ حِجَاباً^(٢)
مُلُوكٌ يَبْتَنُونَ توارثوها
سُرَادِقَهَا المَقَاوِلَ والقَبَابِ^(٣)

(١) العاصمين: المانعين. الحدَثان: الخضوب. ناب: أَلَمَ واعتري.

(٢) الأضيْد: من رفع رأسه كبراً. الأغر: الشريف والملتمع العزة على جبينه.

(٣) السُرَادِق: الخيمة. المَقَاوِل: رتبة من دون الملك. وهذا البيت بمعناه وتركيبه

متعثر بسيط وسطحي المعنى.

مِنَ الْمُسْتَأْذِنِينَ تَسْرِى مَعْدَاً
 خَشُوعاً خَاضِعِينَ لَهُ الرِّقَابَا (١)
 شُيُوخٌ مِنْهُمْ عُدُسُ بْنُ زَيْدٍ
 وَسَفِيَانُ الَّذِي وَرَدَ الْكَلَابَا (٢)
 يَقُودُ الْخَيْلَ تَرْكَبُ مِنْ وَجَاهَا
 نَوَاصِيهَا وَتَغْتَصِبُ الرِّكَابَا (٣)
 تَفَرَّعَ مِنْ ذُرَى عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ
 وَتَأْبَى دَارِمُ لِي أَنْ أُعَابَا (٤)

هذه لوحة من فخره، وصورة يفخر فيها الفرزدق بأنه ابن الذين
 يعصمون الناس ويمنعونهم، حينما تذللهم خطوب الدهر وتنزل
 بهم. ويقول مفتخراً بأنه نما في صيد كرام، لهم الخيام الحمراء
 العالية التي للأسياد. وفي هذه اللوحة يصف ذويه بالملوك،
 يخضع لهم العرب، ويحنون الرقاب أمامهم. ولإثبات قدرهم
 وقيمة أهله وذويه يرجع إلى الأصل، فأصوله من عدس، من بني
 دارم، وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. وسفيان هو ابن
 مجاشع من بني دارم جد الفرزدق. وهو البطل والفرارس الذي
 يركب الخيل الأصيلة. ولا ينسى نسب أبيه وأمه ويتعالى على

(١) المستأذنين: أي من يطلب الإذن للدخول إليهم. معد: العرب عامة.

(٢) عدس بن زيد، من بني عدس: سفيان بن مجاشع: جد الفرزدق.

(٣) الوجا: الخفا.

(٤) تفرع: أي جده أبو سفيان. ذرى عوف: لأنه من أم كانت ابنة عوف بن كعب.

الناس بهم، وهم في علو ورفعة، مسكنهم الجبال، ورأيهم رشيد وأقوياء يثرون لأداء الواجب، وحين ما تستوجب الملمات .

إنه في هذه الصورة من صور الفخر، يطلب من الناس أن يخبروه بما يسأل عنه . وسؤاله هنا للتأكيد، لأنه يعلم ما يجري، وليس جاهلاً أعمى عما يدور حوله . وهو العارف ببواطن الأمور، وبالحادثة التي من أجلها يقول شعره . ويتجلى الفخر، والعنفوان، بزهو وكبرياء حينما يصل القول إلى أبيه غالب، إذ يقول : هل عثرتم قبل غالب - والده - من يقري مائة من الإبل، ويهبها وهو صامت لم يتكلم . وهذا دليل كرم، وهو من صفات العرب الجميلة . ووالده تستغيث به الأقوام ولو كان ميتاً .

وإن من يأتي قبره ويستغيثه لن يخذل أبداً، لأن ابنه يسير على خطى أبيه، وإن روح أبيه من جنبه . ، ويتعالى بهذه الصفات على قبيلة كلب التي خصها بالهجوم، وأنه هو الأحق بتاج المكرمات، مهما حاولت كلب من الحط من قدره ورفعته . وانهم نكلوا كلهم، ولم يدافع عن أحسابهم إلا والده غالب الميت، الذي كان يقود الخيل ويغشى الوغى من أجل الحفاظ على القيم والأصالة، والدفاع عن المظلوم والملهوف، وهو الذي كان يتحمل عن قومه أعباءهم، ويدفع المال والديات عنهم نتيجة جرم قام به غيره . ولكن أولئك القوم، لا يتصحون ولا يأخذون درساً مما جرى . والنصح يمضي فيهم هباء .

ومن صورته التي يفخر بها^(*):

- أَلَا يَا أَخْبِرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ^(١)
سَوَّالُ امْرِئٍ لَمْ يُغْفَلِ الْعِلْمَ صَدْرُهُ
وَمَا الْعَالَمُ الْوَاعِي الْأَحَادِيثَ كَالْعَمِي^(٢)
أَلَا هَلْ عَلِمْتُمْ مَيْتاً قَبْلَ غَالِبِ
قَرَى مَيْتَةً ضَيْفًا، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ؟^(٣)
أَبِي صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي مِنْ يُعْذُ بِهِ
يُجِرُّهُ مِنَ الْغُرْمِ الَّذِي جَرَّ وَالْدَمَ^(٤)
وَقَدْ عَلِمَ السَّاعِي إِلَى قَبْرِ غَالِبِ
مِنَ السِّيفِ يَسْعَى، أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلَمٍ^(٥)
وَإِذَا نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّهُمْ
أَخَقُّ بَنَاجِ الْمَاجِدِ الْمُتَكَرَّمِ^(٦)
عَلَى نَفَرِهِمْ مِنْ نَزَارِ ذَوَابَةِ
وَأَهْلِ الْجَرَائِمِ الَّتِي لَمْ تُهْدَمْ^(٧)

(*) الديوان - ج ٢ - ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(١) يطلب من الناس أن يخبروه بما يستخبر عنه.

(٢) لم يغفل العلم صدره: أي يعلم بكل شيء.

(٣) قرى: أطعم الضيف.

(٤) أي والده يفدي الناس في حياتهم وفي مماتهم.

(٥) يقول: إن من أتى إلى قبر والده لن يسلم ولن يخذل.

(٦) نحب: صاح صياحاً عالياً.

(٧) الذوابة: يعني بهم هنا الأسياد. وهي في الأصل شعر في مقدمة الرأس.

فلم يَجُلْ عن أحسابهم غير غالب
 جرى بعناقِي كُلِّ أبلج خِضْرِمِ (١)
 وكنتُ كمْسُولٍ بأحداثِ قومِهِ
 ليُضْلِحَهَا مَنْ لَيْسَ فيها بمجرِمِ (٢)
 ولكنْ إذا ما المصلحون عَصَاهُمْ
 وَلِيٌّ فما للنصحِ من مُتَقَدِّمِ (٣)
 ومن قصائد فخره، قوله (٤):

أنا ابنُ ضَبَّةَ فَرْعٍ غيرُ مؤْتَشِبِ
 يعلو شُهَابِي لَدَى مُسْتَعْمِدِ اللّهِبِ (٥)
 سعدُ بن ضَبَّةَ تَنْمِينِي لِرَابِيَةِ
 تَعْلُو الرّوَابِي فِي عِزٍّ وَفِي حَسْبِ (٥)
 إذا حَلَلْتَ بِأَعْلَاهَا رَأَيْتَ بِهَا
 دُونِي حَوَامِي مِنْ عَرِيْسِهَا الْأَشْبِ (٦)

(١) لم يجل: لم يدافعوا.

(٢) أحداث: مشاكل وأعباء.

(٣) يقول: إنهم لا يتصحون والنصح يمضي فيهم هباء.

(٤) الديوان - ج ١ - ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١.

(٥) ضبة: قبيلة والدته. المؤتشب: المخلوط العربي.

(٥) تنميني: تسبني. الرابية: هنا رابية العلى.

(٦) المريس: مكنم الأسد. الأشب: الملفف الأشجار.

المانعين غداة الرّوعِ نسوتهم
 والضاربين كباشِ العارضِ اللّجب^(١)
 ما زلتُ أتبع أشياخي وأتعبه
 حتى تذبذبت يا ابن الكلب بالنسب^(٢)
 أنا ابن ضبّة للقوم الذي خضعت
 خيرُ القُرومِ، فهذا خيرُ مُتّسب^(٣)
 الله يرفّعي، والمجد قد علموا
 وعِدّة في معدٍ غيرُ ذي ريب^(٤)
 وببيت مكرمة في عزٍّ أولنا
 مجدٌ تليدٌ إليه كلُّ مُنتجب^(٥)
 من دارمٍ حين صار الأمر واشتبهت
 مصادر الناسِ في رجافة الكُرب^(٦)
 قد علمتُ خندفٌ والمجدُ يكتفها
 أن لنا عزّها في أولِ الجقب^(٧)

(١) الرّوع: الحرب الشديدة. الكبش: السيد الكبير: العارض: أصله في السحاب، وهنا في الجيش. اللّجب: الكثير الجلبة.

(٢) تذبذب: تحرك. ابن الكلب: جرير.

(٣) القرم: الرجل السيد.

(٤) معد: العرب.

(٥) التليد: المجد القديم الموروث. المنتجب: المصطفى.

(٦) الرجافة: الكثيرة الارتجاف. الكُرب: الأحران.

(٧) الجقب: السنون.

وفي الحديث إذا الأقوال شاعة
 في باحة الشرك أو في بيضة العرب^(١)
 وكل يوم هياج نحن قادتة
 إذا الكماة جشوا والكيش للركب^(٢)
 منا كتائب مثل الليل نجبها
 بالجرد والبارقات البيض واليلب^(٣)
 وكل فضفاضة كالثلج مُحَكَمَة
 ما ترثعن لدس النبل بالقُطْبِ^(٤)

إنه في هذه القصيدة يفخر بنسبه المتحدر من بني ضبة، وإن
 الأصل الشريف الخالص، وإنه يعلو بنجم مجده، ويسطع،
 ويُخمد كل لهب دونه. ومن هذا النسب الرفيع أخذ نسبه، وتنسم
 منها محلاً لا قِبَل لمن دونه به عزاً ومجداً. وحماته أسود انتموا
 بأصلهم إلى تلك القبيلة القوية التي تحمي نساءها في القتال،
 وانهم يتصدون لفحول الأبطال، والجيوش الكثيرة المحتشدة
 ويفتكون بهم.

(١) الأقوال: جمع القبل، وهو من كان من الحكام دون الملوك. الشارعة:
 الخائضة.

(٢) الهياج: القتال. الكيش: البطل. الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح.
 (٣) البارقات البيض: السيوف. اليلب: الترس والدروع اليمانية من الجلود
 نجبتها: نسير بجنيها.

(٤) الفضفاضة: الدرع الواسعة. ترثعن: تسرخي: القطب: جمع القطبة نصل
 صغير مرتفع في طرف السهم.

ولا مفر له من العودة إلى الأصول والتاريخ والجدود. ويقول: إنه كان لا يزال يفخر بمن نُجِبَ من جدوده، وإن جريراً يحاول اقتفاء أثره، جاهداً لاهثاً ولا قبل له بمجاراته، وجعل يحرك نسبه وكأنه قادر أن يأخذ به؟! إنه ينتمي إلى أقوياء، لبني ضبة الذين أخضعوا الأسياد وسادوا. وأنه بذلك ينتسب لأفضل نسب، وأشرف أرومة. ليس هذا فقط بل إن الله فضله لمآثره في العرب، التي لا يرتاب بها أحد من الناس، وأنه ينتمي إلى من ورث المجد منذ القدم، وينتمي إليه كل امرئ مصطفى كريم. وإن الناس جميعاً تلتبس الأمان ببني قومه، حين يدب بها الضيق، وتلتبس الأمور، ويعجز الناس، لأن قومه أصحاب تاريخ ومآثر، وهم الذين ورثوا مجد خندف منذ الأزمنة القديمة. فهم الأسياد في الجاهلية، وناصية العرب والمتقدمين، وهم حديث المجد في الإسلام. إنهم يقودون القتال الشديد الذي تخر من دونه الأبطال. وجيوشهم كالليل تزحف، على خيول كريمة أصيلة، وهم يلبسون الدروع اللماعة الصقيلة، والبيضاء كالثلج، والتي لا تسترخي ولا تلين للسهام والنصل.

وإنه يهجو عمر بن هبيرة الذي كان قد مدحه(*) :

أنا ابن خندف والحامي حقيقتها
فد جعلوا في يدي الشمس والقمر^(١)

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦.

(١) يهجو عمر بن هبيرة ويفاخره بقومه.

ولو نفرت بقيسٍ لاحتقرتُهُم
 إلى تميمٍ تقودُ الخيلَ والعَكَرا^(١)
 وفيهِم مائتا ألفٍ فوارسُهُم
 وحرشُف كجشاءِ الليلِ إذ زحرا^(٢)
 كانوا إذا لتميمٍ لُقمةً ذهبَتْ
 في ذي بلاعيمٍ لَهَامٍ إذا فغرا^(٣)
 باتَ تميمٌ ومُهمٌ في بعضِ أوعيةِ
 من بطنِهِ قد تعشاهم وما شغرا^(٤)
 يا أيها النابحُ العاوي لشفوتِهِ
 إليّ أخبرك عما تجهلُ الخبرا^(٥)
 بأن حَيَاتِ قيسٍ إن دلفتَ بها
 حَيَاتُ ماءٍ ستلقى الحَيَّةَ الذكرا^(٦)
 أصمٌ لا تقربُ الحياتُ هضبتَهُ
 وليسَ حَيٌّ لَهُ عاشَ يرى أثرا^(٧)

(١) العكر: قطعة من الإبل.

(٢) الحرشف: الجراد. وهنا الجيش الذي يمثل عدوه. جشاء الليل: شدة ظلمته

(٣) اللهام: الكثير الاتهام.

(٤) أوعية: جمع وعاء، وهو القدر.

(٥) العاوي: المقصود به عمر بن هبيرة.

(٦) حيات ماء: لا سُم فيها. الحية الذكر: هي الحية السمة.

(٧) أصم: قوي.

يَا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ
 يَا قَيْسَ عَيْلَانَ أَنْ لَا تَسْرِعُوا الضَّجْرَ (١)
 إِنِّي مَتَى أَهْجُ قَوْمًا لَا أَدْعُ لَهُمْ
 سَمْعًا إِذَا اسْتَمَعُوا صَوْتِي وَلَا بَصَرًا (٢)
 يَا غَطَفَانَ دَعِي مَرْعَى مُهْنَاءُ
 تُعَدِّي الصَّحَاخَ إِذَا مَا عَرَّهَا انْتَشَرَا (٣)
 لَا يُبْرِئُ الْقَطْرَانُ الْمُحَضُّ نَاشِرَهَا
 إِذَا تَصَعَّدَ فِي الْأَعْنَاقِ وَاسْتَعْرَا (٤)
 لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانَ لَا ذَنْوبَ لَهَا
 إِلَيَّ لَمْ ذُؤُوا أَحْلَامَهُمْ عُمَرَا (٥)
 مِمَّا تَشْجَعُ مِنِّي حِينَ هَجَّجَ بِي
 مِنْ بَيْنِ مَغْرِبِهَا وَالْقَرْنِ إِذْ فَطَرَا (٦)
 إِنْ تَمْنَعِ الثَّمَرُ مِنْ رَازَنٍ مَائِرِنَا
 فَلَسْتُ مَانِعَ جُلِّ الْحَيِّ مِنْ هَجْرَا (٧)

-
- (١) يقول: إنه كان حذرهم من الامتناع عن الصبر، ومن أن يتفجروا بيسر.
 (٢) يقول: إنه حين يهجو قوما لا يدع منهم سمعا ولا بصرا، أي إنه يفتك بهم ولا يدع لهم خلاصا.
 (٣) المهنة: الإبل المطلية بالقطران لجربها. العر: الجرب.
 (٤) الناشر: الجرب المنتشر في مغاير البعير.
 (٥) يقول: إنه لو كان الغطفانيون يحلمون ويعقلون للاموا عمر من هيرة.
 (٦) هجج: صاح به ليكف عما دأب عليه. مغربها: أي الشمس. فطر: طلع.
 (٧) المائر: الذي يأتي بالطعام. والكيرة ورازان: موضعان.

قد كنت أنذرتكم حربي إذا استعرت
 نيرانها هي نارٌ تقذف الشررا (١)
 قُبْحاً لنارِكُم والقِدْرُ إذ نُصِبَتْ
 على الأثافي وضوء الصبح قد جَشَرَا (٢)
 لو كان يَعْلَمُ ما أنتم مُجاوِرُكُمْ
 لما أناخ إلى أحفاشكم سَحَرَا (٣)

إنه يهجو عمر بن هبيرة، ويفاخره بقومه، ويقول إنه خندفي، وهو الذي يحمي راياتها وكيانها وإنه نال من بني قومه مجد من يحمل الشمس والقمر. ولعله يشير هنا إلى قول النبي الكريم لبني قريش: لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري لما بدلت في ذلك حرفاً، وبما أنه بهذه القوة والمنعة فإنه لا يحفل بالقيسيين، وإنه يلوذ إلى بني تميم الذين يقودون الخيل الحاشدة والإبل الكثيرة. وتميم من القوة والمنعة، فإنها تملك الفوارس الأشداء وعددهم يفوق الجراد. وإن جيوشهم تضطرب كالليل الزاخر، وكالموج الهادر. والقيسيون بالمقابل هم ضعفاء كاللقمة السائغة، يتلعبها جيش تميم ابتلاعاً، دون أن تشعر قيس، وهذا تحقير مبالغ فيه، وإشارة لضعف قيس وقلتهم، وقلة شأنهم، وهم - أي قيس - كحيات ماء عاطلة عن اللدغ وهو كامن في مكن من

(١) أنذر: حذر. استعرت: اشتعلت.

(٢) جَشَرَا: طلع.

(٣) الأحفاش: البيت الصغير الحفير.

يقرب ويدنو منه ليلاً لا يقع له على أثر لأنه حية ذكر تبث سمومها القاتلة في كل اتجاه . وإنه إذا قال كلمة في الهجاء في قوم لا يدع لهم سمعاً ولا بصرأ ، أي أنه يفتك بهم ولا يدع لهم خلاصاً . وتتوسع عنده دائرة الهجاء ، إذ يطلب من بني غطفان ألا يدنوا من القيسيين فإنهم سيصابون بمثل جربهم وينالون مصيرهم الهالك ، والقطران لا يشفي الجرب ، إذا استأصل الجرب وانتشر واشتعل . ولو كان الغطفانيون يعقلون ويحلمون للاموا عمر بن هبيرة ، كي لا يقع الجميع - عمر وقيس - في مثل هذه الواقعة وهذا الفحش في الهجاء من رجل سليط اللسان ، ويملك أداة التعبيد الجارحة والقاتلة أحياناً .

نقائضه وجريـر :

لقد خلق الفرزدق مقاتلاً ، مشاكساً . وكانت غلظة البداوة وروحها تسريان في عمق شرايينه ، وتُبْعَثُ في كلماته وفي شعره كأنها السيول العارمة ، أو جلاميد الصخور الصلدة . فتكسر وتقلع من طريقها ما تصادفه .

وبقيت المعركة بين جريـر والفرزدق قائمة وعلى نار ملتهبة مدة أربعين سنة لم يهدأ أوارها إلا بموت الفرزدق . وتحمل النقيضة في طياتها هجاء ومديحاً وفخراً . فالهجاء موجه إلى المهجور . والمديح والفخر والاعتداد بالنفس موجه إلى النفس أو الذات ، أو إلى القبيلة أو المجموع . وحتى الهجاء في النقائض يتحقق فيه

شرطان، أولهما الهجاء الفردي، وثانيهما الهجاء الجماعي. ويتناول ذلك الهجاء الخلقي، والأخلاقي وغير ذلك من الشائم والسباب.

وفي هذه القصيدة - النقيضة يتحقق ما نقوله إذ يرد على جرير ويناقضه(*):

جَرَّ الْمُخْزِيَاتِ عَلَى كُليبٍ
جريرُ ثم ما مَنَعَ الذُّمارا^(١)
وكان لَهُمْ كِبَرُ ثَمُودَ لَمَّا
رَغَا ظُهُراً فدمرهم دَمَارا
عَوَى فائِزارُ أَغْلَبَ ضِيغَمِيًّا
فَوَيْلُ ابنِ المِراغَةِ ما اسْتِشارا^(٢)
مِنَ اللَّائِي يَظَلُّ الأَلْفُ مِنْهُ
مُنِيخاً من مَخافَتِهِ نِهارا^(٣)
تَظَلُّ المُخْدِرَاتُ لَهُ سُجُوداً
حَمَى الطَّرِيقَ المِقانِبَ والتُّجارا^(٤)

(*) الديوان - ج ١ - ص ٥٧٤ وما بعدها.

(١) المخزية: العار. الذمار: ما يدافع عنه.

(٢) الأغلب: الأسد: الضيغمي: الأسد القوي.

(٣) يقول إن ذلك الأسد يخيف ألف رجل يقعون خوفاً منه.

(٤) المخدر: الأسد. المقانب: الفرسان. التجار: الفرسان.

كَأَنِّي بِسَاعِدَيْهِ سَوَادٌ وَرَسٌ
 إِذَا هُوَ فَوْقَ أَيْدِي الْقَوْمِ سَارًا^(١)
 وَإِنَّ بَنِي الْمَرَاغَةِ لَمْ يُصِيبُوا
 إِذَا اخْتَارُوا مِثَاتِمِي اخْتِيارًا^(٢)
 هَجَوْنِي حَائِنِينَ وَكَانَ شَتْمِي
 عَلَى أَكْبَادِهِمْ سَلْعًا وَقَارًا^(٣)
 سَتَعْلَمُ مَنْ تَنَاوَلَهُ الْمَخَازِي
 إِذَا يَجْرِي وَيَذْرُعُ الْغُبَارَ^(٤)
 وَنَامَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ عَنْ كَلِيبٍ
 فَجَلَّلَهَا الْمَخَازِي وَالشُّنَّارَ^(٥)
 وَإِنَّ بَنِي كُليبٍ إِذْ هَجَوْنِي
 لَكَ الْجَعْلَانُ إِذْ يَغْشِيهِ نَارًا^(٦)
 وَإِنَّ مُجَاشِعًا قَدْ حَمَلْتَنِي
 أُمُورًا لَنْ أَضِيْعَهَا كِبَارًا^(٧)

(١) الورس : الزعفران .

(٢) مِثَاتِمِي : مهاجمتي ، ومبتي .

(٣) الحائِن : الحاقِد . السَّع : شجر خبيث مر . القار : الزفت .

(٤) يذرع الغبار : غبار السباق ، وهنا المفاخرة .

(٥) الشُّنَّار : العار .

(٦) الجعل : دوية .

(٧) يقول : إنه ورث المجد عن أبيه وفوه .

قَرَى الْأَضْيَافَ لَيْلَةَ كُلِّ رِيحٍ
 وَقَدْماً كُنْتُ لِلأَضْيَافِ جَاراً^(١)
 إِذَا اخْتَرَقَتْ مَآشِرَهَا أَشَالْتُ
 أَكْرَاعَ مَنْ جَوَّاشْنَهَا قِصَاراً^(٢)
 تَلَوُّمٌ عَلَى هَجَاءِ بَنِي كَلِيبٍ
 فَيَا لَكَ لِلْمَلَامَةِ مِنْ نَوَارِ^(٣)
 فَقُلْتُ لَهَا: أَلَمْ تَعْرِفِينِي
 إِذَا شَدَّتْ مُحَافَلَتِي الْإِزَارَا^(٤)
 وَقَالَتْ عِنْدَ آخِرِ مَا نَهْتَنِي:
 أَتَهْجُو بِالْخَضْرَمَةِ الْوِبَارَا^(٥)
 أَتَهْجُو بِالْأَقَارِعِ وَابْنَ لَيْلَى
 وَصَعْصَعَةَ الَّذِي غَمَرَ الْبَحَارَا^(٦)

(١) قرى: إطعام الضيف.

(٢) الماشر: الأشداق. أشالت: رفعت. الكراع: مادون كعب القدم. الجوشن: الصدر.

(٣) نوار: زوجته.

(٤) المحافلة: المنافسة.

(٥) الخضرم: السد. الوبار: جمع الوبر، دوبة حقيرة.

(٦) يقول: إن زوجته عجبت أن يهاجي جريراً على الكلبيين، وهم دوبيات صغيرة، بني قومه الكرام الأسياد أمثال الأقارع وابن ليلى وصعصعة جده الذي افتدى المؤودات.

وناجية التي كانت تميم
 تعيش بحزبه أنى أشارا^(١)
 فكيف ترد نفسك يا ابن ليلي
 إلى ضربتي تحفرت المغار^(٢)
 فلم نوافي مكة ثم نسأل
 بنا وبكم قضاة أو نزارا^(٣)
 هنالك لو نسبتي بني كليب
 وجدتهم الأداة الصفار^(٤)
 وما غر الوبار بني كليب
 بغيثي حين أنجدوا استطارا^(٥)
 وباراً بالفضاء سمعن رعداً
 فحاذرن الصواعق حين ثارا^(٦)
 حربن إلى مداخلهن منه
 وجاء يقلع الصخر انحدارا

(١) يقول: إنه كان ينبغي تيمناً بحزمه وحكمته.

(٢) الضرب: دوبة. تحفرت المغار: أي حفرت جحراً. ابن ليلي: الفرزدق وزوجته ما زالت تؤنبه على نضاؤه بمهاجرة جرير.

(٣) يدعوهم لتحكيم العرب بينهم في يوم الحج.

(٤) الأداة: الضيلو القدر.

(٥) الغيث: المكان الممرع بالمطر. أنجدوا استطار: طلع.

(٦) وبار: دوبة الوبر.

فأدركهُنْ مُنْبِعُ ثَعَابٍ
يَحْتَفِ الحَيْنِ إِذْ غَلَبَ الْجِذَارَا (١)
فإنَّكَ والرَّهْمَانُ عَلَى كُليبٍ
لِكالْمُجْرِي مع الفرسِ الحمارا (٢)

إنه في هذه القصيدة الهجائية يهجو مباشرة جريراً. فهو الذي جرَّ المخزيات والعار على كليب. ولم يكتف بهذا بل جر عليهم الموت أيضاً كنافقة ثمود. ويصف نفسه بالأسد الذي يخيف الناس والفوارس، وإنَّ يديه اصطبغت بالدم، وهو الذي حمى الناس، ومنع سلبهم. وإن بني المراغة لم يصيبوا حينما شتموه، لأنه إنسان كريم وهو كالشجر الخبيث المريضر من هجاء. وهنا فخر وتفاخر بنفسه إذ يعتبر نفسه من الفوارس الأشداء الأقوياء. وإذا جاءته مسبته من بني كليب فهي لا تؤذيه، لأنهم كدوية صغيرة لا شأن ولا قوة لها. وإنه ورث المجد عن ذويه الذين كانوا يغيثون المظلوم، ويكرمون الضيف. وهو على نفس طريقة آبائه وأجداده، إنه لا يُقاوم حين يُشمر للفخر والمشاتمة. وتعييه زوجته لأنه تنازل وهجا جريراً، وقومه هم الأسياد أمثال الأقارع وابن ليلي وصعصعة جده الذي اقتدى المؤودات.

(١) المنبعق: المتفجر مطراً. الثعاب: الجاري بقوة. الحنف والحين: الموت.

(٢) يقول الكلبيون حمير يجارون أفراس قوم الفرزدق.

وإن زوجته تؤنبه لأنه لم يفحم جريراً ، وتضاءل ، وتقاعس بمهاجاته . أي إنها تريد معركة فاصلة بينهما ، يكون الفوز فيها لزوجها الفرزدق . ولكي يعطي الفرزدق الصورة أبعادها يطلب من جرير أن يوافقه على تحكيم العرب بينهما في يوم الحج . واختار هذا اليوم لأنه أكبر اجتماع في الجزيرة العربية ، ويستطيع الشاعر من خلال هذا المجموع أن يصل إلى أكبر عدد من الناس . وستكون الغلبة له لأن بني كليب وجرير منهم ، هم ضئيلو القدر ، وهذا ما تعرفه القبائل عنهم حسب رأي الفرزدق ، وإن بني كليب لن ينجحوا بتر خيره منه وجحده من نفسه لأنهم مثل دوية الوبر التي تخاف الرعد وتختبيء من المطر . إنه المطر ، السيل الذي يجرف كل عدو ، وينتصر على الفرسان الأقوياء . وحتى على القبائل ، كمثل كليب ، إذ يعتبرهم حمير يجارون أفراس قومه .

في هذه القصيدة هجاء وفخر . هجاء بلسان تعود الفحش ، وهتك الأعراض ، بما ألصق بجرير من صفات ، وبما وصف فيه جماعة جرير من أوصاف منحطة ، ولا ينسى نفسه وقومه ، والمباهاة بنفسه وبتاريخ أجداده ، حيث يبرز الفخر والتعالي . وهذا شرط من شروط المقابلة من الهاجي والمهجو : إنه الرفيع وخصمه الوضع ، وهو العالي الشامخ ، وغيره المنحط الداني .

والنقائض كثيرة من الشاعرين . وهي بحاجة إلى دراسة منفصلة عن هذه الدارسة ، لكثرتها ، وقوتها . وما فيها من تصوير مادي

وحسي لأدق المواضع. ولما تمثله من صورة صادقة عن عصر
دبت فيه الخلافات، وعادت إليه العصبيات.

المديح عند الفرزدق:

كان الفرزدق يتشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه، ويجاهر بحبه
لهم. وإذا مدحهم تدفق شعره عاطفة وحماسة، فما ترى فيه أثراً
لتكلف المادح المتكسب وخير دليل على صدق موالاته آل البيت
قصيدته في علي بن الحسين زين العابدين فهي من أبلغ الشعر
وأخلصه عاطفة. أنشدها في وجه هشام بن عبد الملك لما حج
في عهد أبيه وطاف بالبيت، وجهد أن يتسلم الحجر الأسود، فلم
يلغ له لكثرة الزحام، فنُصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس
وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من
أجمل الناس وجهاً، فطاف بالبيت حتى إذا انتهى إلى الحجر
انشقت له الصفوف ومكته من استلامه، فقال رجل من أهل الشام
لابن عبد الملك «من هذا الذي هابه الناس هذه الهيئة» فقال
هشام: «لا أعرفه». وخاف أن يذكر اسمه فيرغبهم فيه. وكان
الفرزدق حاضراً فقال: «أنا أعرفه» فقال الشامي: «ومن هو يا أبا
فراس؟» فقال قصيدته(*):

(*) الديوان - ص ٣٥٣.

هذا التي تعرفُ البطحاء وطائهُ
والبيتُ يعرفُ، والحِلَّ والحَرَمُ^(١)

هذا ابن خير عباد الله كُلِّهِمْ
هذا التقي النقي الطاهر العَلَمُ^(٢)

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهِلُهُ
بِجَدِّهِ أنبياءُ الله قَدْ ختموا^(٣)

وليس قولك من هذا بضائره
العَرَبُ تعرفُ مَنْ أنكرت والعجمُ^(٤)

وهي قصيدة طويلة فيها الصديق في العاطفة . فزين العابدين هو الإمام الذي تعرفه البشرية أينما وجدت ، وهو من سلالة النبي سيد الخلق سلام الله عليه وهو رمز التقى والنقاء في هذه الحياة . ولا يستطيع أن ينكر وجوده وحقه أحد من البشر لأنه ابن بنت رسول الله ، أمه فاطمة ، وأبوه الحسين . وجده علي بن أبي طالب . وما الإنكار في مثل هذه المواضع إلا نتيجة لما هو من رفعة ومنزلة يخشاها هشام ذاته ، وكيف ينكر هشام مثل هذا الإنسان الذي

(١) البطحاء : أرض بمكة فيها أفضل قریش . البيت : الكعبة . الحرم : ما حول مكة وفيه يحرم قتل الطير واللائذين . الحل : ما جاوز الحرم .

(٢) العلم : السيد الشهير .

(٣) أي بالنبي محمد ﷺ .

(٤) ضائره : مضربه .

تعرفه العرب في حضرها ومضرها، في مدنها وباديتها، وتعرفه
العجم وكل ناطق بلسان الإسلام.

وعندما سمع هشام هذه القصيدة غضب، وحبسه بين مكة
والمدينة فهجاه الفرزدق بقوله:

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْتِي
إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيهَا^(١)
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ
وَعَيْنٌ لَهُ حَوْلَاءٌ، بَادٍ عُيُوبُهَا^(٢)

فبلغ شعره هذا هشاماً، فأمر بإطلاقه خوفاً من لسانه.

والفرزدق متقلب الولاء. مدح الأمويين رغبة أم رهبة، وأجاد
في مدحه لهم لكنه لم يكن في كثير من قصائده نحوهم موفقاً.
وكانت الصنعة والنظم باديين بشكل جلي في شعره، ونراه يمدح
هشاماً الذي كان قد هجاه، ويعتبره خليفة الأرض.

(١) يهوي: يسرع ويمضي في سيره. منيها: تائبها، من أناب إلى الله رجع إليه
وتاب. وقوله: التي: أراد بها مكة فعرف باسم الموصول تعظيماً لها. يقول:
أتحبسني بين المدينة ومكة التي يسرع إليها ذوو القلوب الثابتة، والضمير في
منيها يعود على القلوب.

(٢) باد: ظاهر. وكان هشام أحول.

ويقول في ذلك (٢٠):

- إِنْ أَتَطِيعُ مِنْكَ، الدُّنُو فإِنِّي
سَأَدْنُو بِأَسْلَاءِ الْأَسِيرِ الْمُقِيدِ (١)
إِنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ يَسْتَفْتُ بِهِ
يَكُنْ مِثْلَ مَنْ مَرَّتْ لَهُ طَيْرَ أَسْعَدِ (٢)
وَلَوْ أَنِّي أَتَطِيعُ سَغِيًّا سَعَيْتُهُ
إِلَيْكَ وَأَعْنَاقِ الْهَدْيِ الْمُقْلَدِ (٣)
خَلِيفَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَصْبَحَ ضَوْءُهُ
بِهِ إِنْ يَهْدِي لِلْهَدْيِ كُلِّ مُهْتَدٍ (٤)
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُجِيطُهُ
يَدَاهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ مَرَصِدٍ (٥)
سَيَأْبَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ لِهِ
عَلَى النَّاسِ وَالسَّبْعِينَ فِي رَاحَةِ الْيَدِ (٦)

(*) الديوان - ج ١ - ص ٢٣٨ .

- (١) يقول: إنه إذ ما دنا إليه وأدركه فإنما يدنو إليه ولم يبق منه إلا الأشلاء التي ما تبقى من الأسير المغلول .
(٢) يعني أنه أفضل الناس ومن يلجأ إليه ينال اليمن . وكأن طير التناؤل حلقت عليه .
(٣) الهدى: النياق نهدي في مكة . المقلد: الإبل التي وضعت لها قلائد حين تهدي في الحج . والمعنى: أنه لو قدر له أن يتحرر ويقبل عليه لطار إليه .
(٤) يقول: إنه خليفة الله على أرضه ، وإنه هو الذي يهدي الناس بنور هديه .
(٥) يعني لإيديه طائفتان ، وإنه يترصد بهما كل امرئ على الأرض .
(٦) السبعين: أي السموات السبع ، وطبقات الأرض السبع . في راحة اليد: أي أن الأرض والسماء ، مسيران بإرادة الله .

ولا ظلم ما دام الخليفة قائماً

هشام، وما عن أهله من مشرد^(١)

يبدأ باعتذار عما كان منه من هجاء في السابق، ويتمنى أن يدرك الخليفة حتى لو كان شبه رجل، همه السجن، وقتله الوجد، وأصبح أشلاء من ثقل الحديد ويؤكد أن هشاماً هو الخليفة الميمون، ناصر المظلوم، وحامي الملهوف من يلجأ إليه ينال السعادة واليمن، ويرى الكرم والوجود، وكأن السماء ذاتها وهبته سمة التفاؤل والطمأنينة وأعطاهما لبني البشر أجمعين. ولو استطاع الفرزدق أن يطير إليه لطار بعد ما عرف عنه من صفات حميدة، وأعمال مجيدة. إنه خليفة الله على أرضه، ومن حمل هذا اللقب عليه أن يكون عادلاً كريماً. وهشام الخليفة يهدي الناس بنور هديه، وما دام هشام مالكاً ومملكاً، فإن الرعية بخير لأن الظلم ينتفي ويزهق، والتشرد يُمحي من الوجود، وتبقى الحياة مستقرة بين الأهل والعشيرة.

ويمدح عمر بن عبد العزيز، ويقول^(*):

أليس مَرَوَانُ والفاروقُ قد رَفَعَا

كفَّيْهِ، والعُودُ ماء العِرْقِ يَغْتَصِرُ^(٢)

(١) يقول إنه ما دام هشام مالكاً، فإن الظلم ينتفي ولا قبل لأحد أن يشرد امرأة عن أهله وذويه.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣١٥.

(٢) مروان: جد عمر بن عبد العزيز. الفاروق: من ألقاب عمر بن الخطاب، وهو جد عمر بن عبد العزيز.

ما اهتزَّ عودُ له عِرْقَانِ مِثْلُهُمَا
 إِذَا تَرَوَّخَ فِي جُرْثُومِهِ الشَّجَرُ^(١)
 أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يَتْرُكْ لِأَثْلَتِهِمْ
 ظِلًّا، وَعنها لَحَاءُ السَّاقِ يَنْتَشِرُ^(٢)
 فَأَعْقَبَ اللَّهُ ظِلًّا فَوْقَهُ وَرَقٌ
 مِنْهَا بِكَفَيْكَ فِيهَا الرِّيشُ وَالشَّمْرُ^(٣)
 وَمَا أُعِينَدَ لَهُمْ حَتَّى أَتَيْتَهُمْ
 أَزْمَانٌ مَرَوَانٌ إِذَا فِي وَخْشِهَا غِرْرُ^(٤)
 فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ
 إِذْ هُمْ قَرِيشٌ وَإِذَا مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ^(٥)
 وَهُمْ إِذَا حَلَفُوا بِاللَّهِ مُقْسِمُهُمْ
 يَقُولُ: لَا وَالَّذِي مِنْ فَضْلِهِ عُمَرُ^(٦)
 عَلَى قُرَيْشٍ إِذَا احْتَلَّتْ وَعَضَّ بِهَا
 دَهْرٌ، وَأَنْيَابُ أَيَّامٍ لَهَا أَثَرُ^(٧)

(١) تروخ: طال أو اكتسى ورقاً بعد تولي الصيف. الجرثومة: أصل الشجر.

(٢) الأثلة: الشجرة.

(٣) يقول إنك أتيت وجعلت عودهم يورق وانتشر الظل فكروا ريشاً ونالوا ثماراً.

(٤) يقول إنه أعاد لهم عهد مروان إذ كان ينقض كالأسد.

(٥) يقول إنهم استعادوا مجد قريش به.

(٦) أي إنهم يقسمون قسماً بالله الذي أنعم علينا بالخليفة عمر بن عبد العزيز.

(٧) عض بها: الدهر: أي أنه أنزل بها الخطوب وأملقها. أنياب أيام: أي أن الأيام أذننها.

وقد حُمِدَتْ بِأَخْلَاقٍ خُبِرَتْ بِهَا
وإنما يا ابن ليلي، يُحْمَدُ الْخَيْرُ^(١)
سَخَاوَةٌ مِنْ نَدَى مِرْوَانَ أَغْرَفَهَا
وَالطَّعْنَ لِلْخَيْلِ فِي إِكْتِافِهَا زُورُ^(٢)
كَمْ فَرَّقَ اللَّهُ مِنْ كَيْدٍ وَجَمَعَهُ
بِهِمْ وَأَطْفَأَ مِنْ نَارٍ لَهَا شَرَرُ^(٣)
وَلَنْ يَزَالَ إِمْنَامٌ مِنْهُمْ مَلِكُ
إِلَيْهِ يَشْخَصُ فَوْقَ الْمَنْبَرِ الْبَصَرُ^(٤)

إنه في مدحه للخليفة عمر بن عبد العزيز، يتجاوز الحاضر، ويصل إلى الماضي، إلى الأساس الذي استمد منه الخليفة الحق في الخلافة. فجده مروان، وجده الآخر الخليفة عمر بن الخطاب، التقي الورع، الذي لقبه رسول الله بالفاروق. والمعنى أن هذا الخليفة تربي على الإيمان والعدل، وقد تحدر من جدين فرعهما أصيل، وهو أصيل كجديه، فبه عظمت الخلافة، واكتست الحياة ثوباً جديداً، وأورق الشجر وأينعت الثمار، ولا

(١) يقول إنه خُبِرَتْ أخلاقه وجربت والمرء لا يحمد إلا عن اختبار.

(٢) الزور: الميلان.

(٣) يقول: إنهم محور الناس، يتفقون بهم ويختلفون عليهم وتطفأ ثورتهم على أيديهم.

(٤) يعني أنهم الأئمة والخلفاء الدائمون، يقيمون على منابر الخطابة والأبصار شاخصة إليهم.

نجد في الحياة أصولاً كأصل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد شكلت عودة عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة حدثاً مهماً، هو عودة الرفعة بعدما كاد الحكم الأموي يقع في مشكلات اختيار خليفة. وقد أعاد حكم مروان الذي شبهه بالأسد، وأرجع معه مجد قریش، فهي الأصل والمركز في الجاهلية، وهي الدين والإيمان، والعلم والمعرفة في الإسلام. والخليفة عمر وارث الأمجاد، والرجل المجرب، وصاحب الأخلاق العالية، والسلوك الإنساني الواضح، هو الذي أعاد كل تلك الأمجاد: لأنه محور الناس، به يتفقون ويجتمعون عليه، وتطأ ثوراتهم على يديه. وهو من الأئمة والخلفاء الدائمين. يقيمون على المنابر للخطابة والإرشاد وأبصار الناس شاخصة إليه، لأخذ الحكمة والمنفعة.

وله قصائد كثيرة في مدح بني أمية، ومنها هذه الأبيات في مدح الوليد بن عبد الملك.

يقول(*):

إِذَا عَرَضَ الْمَنَامُ لَنَا بِسَلْمَى
فَقُلْ فِي لَيْلٍ طَارِقَةٍ قَصِيرٌ^(١)
أَتَنَّا بَعْدَمَا وَقَعَ الْمَطَايَا
بَنَا فِي ظِلِّ أَبْيَضٍ مُسْتَطِيرٍ^(٢)

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(١) أي أنه لا ينم لأن طيف حبيته يلم به.

(٢) الأبيض المستطير: الفجر.

فَقَلْتُ لَهَا كَذَا الْأَحْلَامُ أَمْ لَا
أَتَتِي الرَّائِعَاتُ مِنَ الدَّهْورِ^(١)
فَلَمَّا لِلصَّلَاةِ دَعَا الْمُنَادِي
نَهَضْتُ، وَكُنْتُ مِنْهَا فِي غُرُورِ^(٢)
وَرَثْنَا عَنْ خَلِيلِ اللَّهِ بَيْتًا
يُطَيَّبُ لِلصَّلَاةِ وَلِلظُّهْرِ^(٣)
هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي مِنْ كُلِّ وَجْهِ
إِلَيْهِ وَجُوهُ أَصْحَابِ الْقُبُورِ^(٤)
خَيْرَ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ إِنَّا
إِلَيْكَ نَشْدُ أَنْسَاعَ الصُّدُورِ^(٥)
سَتَحْمِلُنَا إِلَيْكَ مُبَلِّغَاتُ
يَطَّانَ دَمًا مَكْدُوحَةَ الظُّهْرِ^(٦)
لَتَأْتِي خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَيًّا
تُحَلُّ إِلَيْهِ أَحْنَاءُ الْأُمُورِ^(٧)

(١) يقول: إنه ألم به طيفها عند الفجر وقد مالت المطايا وأنيخت نعباً.

(٢) أي أنه نهض باكراً.

(٣) يقول: إنهم ورثوا عن إبراهيم خليل الله بيت الحج في مكة.

(٤) يعني أن الموتى تدار وجوههم إلى مكة.

(٥) يقول إن الله اختاره للإسلام وخيره. وإنهم - المسلمون - يشدون المطايا إليه.

(٦) يقول إنهم يمتطون إليه النياق النجبية التي توصل راكبيها إلى غايتهم وإنها قرحت متونها من التعب.

(٧) أي إنه خير الناس وإنه أفضل من يجلو الشدائد.

ولكن ينتجفن بنا فرائنا
 ونيلاً يطمؤان على البحور^(١)
 مما في راحتك إذا تلاقى
 غباؤهما إلى حلب غزير^(٢)
 بهم ثبتت رحي الإسلام قسراً
 وضرب بالمهتدة الذكور^(٣)
 نوارثها بنو مروان عنه
 وعن عثمان بعد ثاي كبير^(٤)
 أمير المؤمنين وأنت تشفي
 بعدل يدتك أذواء الصدور^(٥)

يعبر في هذه الأبيات عن حالته تجاه ممدوحه الوليد بن عبد الملك. ويصف حالته الصعبة، إذ هو لا ينام لأن طيف حبيته يلازمه ويطبق عليه. ويبقى ساهراً حتى يصبح مع الفجر، حيث المطايا مالت وأنيختت تعباً من كثرة التجوال. ومع هذا فإنه لا ينسى نفسه، وهو صاحب الحلم والرأي والتبصر بأمور الحياة

(١) يقول: إن تلك النياق ليست للتجارة وإنما هي تحملهم إلى الممدوح وهو أشد فيضاً من النيل والفرات.

(٢) يعني أن الفرات والنيل يفيضان من يدي الخليفة.

(٣) يقول إنه مكن للإسلام بالعطاء والقتال بالسيوف الصلبة القوية.

(٤) الثأي: الجهد.

(٥) يعني أنه يبريء الناس بعدله مما يعانون.

والناس ولولا هذا الحلم لأهلكه الزمن من كثرة المصائب. ومع هذا كله لا ينسى واجباته الدينية فينهض للصلاة باكراً. وهم ورثة إبراهيم خليل الله إذ ورثوا عنه بيت الحج في مكة، هذا البيت الذي تدار وجوه الموتى إليه كما اتجهت نحوه في الحياة للصلاة لأنه قبلة المسلمين. وما الخليفة الوليد سوى حامل لواء الدين، والله نفسه اختاره لخير الإسلام، وهم يشدون المطايا إليه طلباً للعون والمساعدة، ورغبة منهم في هباته وعطاياه. وانهم يركبون المطايا والنياق النجبية التي توصل راكبها إلى غايته المنشودة، وتصل إلى ضالتها رغم الأزمات والصعاب. والناس تأتي الخليفة من كل حدب وصوب لأنه خير من يجلو الشدائد، وأفضل خير الناس وأكرمهم. إنه أكرم من النيل والفرات وأشد هبة وعطاء منهما، وتعكس الآية بتشبيهه رائع وبليغ إذ أن هذين النهرين يفيضان من يدي الخليفة، الذي مكن للإسلام بالعطاء والجود والقتال بالسيوف. ولم تصل الخلافة إلى بني مروان بهذه السهولة بل كانت دونها صعباً، وبذل من أجلها جهد كبير. وهم أصحاب العدل والسياسة والحكم والخلافة لأنهم يعدلون بين الرعية ويرثون الناس مما يعانون من ظلم بواسطة عدلهم وكرمهم، وعطفهم على كل الرعية.

ولم يقتصر مدح الفرزدق للمخلفاء بل تعداه إلى الولاة والأمراء. فهو في هذه القصيدة يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.

ويقول في هذا(*) :

إِنَّ ابْنَ يَوْسُفَ مُحَمَّدَ خَلِيقَهُ
سَيَّانَ مَعْرُوفَهُ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ^(١)
هُوَ الشُّهَابُ الَّذِي يُرْمَى الْعَدُوَّ بِهِ
وَالْمُشْرِفِيُّ الَّذِي تَعَصَّى بِهِ مُضَرُّ^(٢)
لَا يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنَّ النَّفْسَ بِأَسْلَةِ
وَالرَّأْيَ مُجْتَمِعَ وَالْجُودَ مُتَشَرُّ^(٣)
أَحْيَا الْعِرَاقَ وَقَدْ ثَلَّثَ دَعَائِمَهُ
عَمِيَاءَ صَمَاءٍ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ^(٤)

هذه القصيدة من قصائد الفرزدق القصار التي أشرنا إليها في مطلع بحثنا. ويصف ممدوحه بأجمل الصفات، فالحجاج بنظره كريم جواد، سخي العطاء، وفضله على الناس ينهمر كالمنهر. وهو القوي الصنديد الذي تحتمي به القبائل والعشائر، إنه مقدم لا يهاب الموت ولا يخشى الحتوف، نفسه بأسلة قوية، ورأيه مصيب، وجوده منتشر. وهو الذي أحيا العراق بعد الفوضى التي

(*) الديوان - ج ١ - ص ٥٦٥.

(١) يعني بقوله : أن فضل الحجاج ينهمر كالمنهر. سيان : مثلاً شبيهاً.

(٢) تعصى به : تضرب وتضمد.

(٣) يمتدحه بالشجاعة والكرم.

(٤) ثلث : هدمت. العمياء الصماء : الفتنة لا تبصر ولا تسمع. لا تبقي ولا تذر :

لا تترك شيئاً بعدها.

نزلت بتلك الديار وأعاد الأمن والاطمئنان للناس بسبب ما يمتلك
من قوة وحكمة .

ويمدح الوليد بن عبد الملك بهذه القصيدة، ونقطعت منها
الآيات التالية(*) :

سَلَوْتُ عَنِ الدَّهْرِ الَّذِي كَانَ مُعْجِباً
ومثلُ الذي قد كانَ مِنْ دهرنا يُسْلي^(١)
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ مَيِّتٌ
فَمَتَّبِعُ آثَارَ مَنْ قَدْ خَلَا قَبْلِي^(٢)
وَأَنِّي الَّذِي لَا بَدْءَ أَنْ سَيُصِيبُهُ
جَمَامُ الْمَنَآيَا مِنْ وَفَاةٍ وَمَنْ قَتَلَ^(٣)
فَمَا أَنَا بِالْبَاقِي، وَلَا الدَّهْرُ، فَاعْلَمِي
براضٍ بما قد كانَ أَذْهَبَ مِنْ عَقْلِي^(٤)
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْخَضْتُهَا
إِلَى خَيْرٍ مَنْ حُلَّتْ لَهُ عُقْدُ الرَّحْلِ^(٥)

(*) الديوان - ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(١) يقول : إن مصائب الدهر العجيبة ألتمت به وإنه سلاها لأنها تدع المرء يذهل ويسلو .

(٢) يعني أنه سيموت كما مات من قبله أناس كثيرون وهو يتبع آثارهم .

(٣) يقول إنه إما أن يموت حتف أنفه أو أنه يموت فتيلاً .

(٤) يخاطب امرأة موهومة .

(٥) يقول : إنه أفضل من يتجمع وتنزل عنه المطايا .

إلى خيرهم فيهم قديماً وحادثاً
 مع الحلم والایمان والنائل الجزل (١)
 ورثت أباك الملك تجري بسميته
 كذلك خوط النبع ينبت في الأصل (٢)
 كداود إذ ولى سليمان بعده
 خلافته نحلاً من الله ذي الفضل (٣)
 يسوس من الحلم الذي كان راجحاً
 بأجبال سلمى من وفاء ومن عدل (٤)
 هو القمر البدر الذي يهتدى به
 إذا ما ذوو الأضغان جاروا عن السبل (٥)
 قضيت قضاء في الخلافة ثابتاً
 مبيناً فقد أسمعت من كان ذا عقل (٦)
 حباك بها الله الذي هو ساقها
 إليك فقد أبلاك أفضل ما يلي (٧)

(١) النائل: العطاء.

(٢) السميت: القصد. الخوط: الغصن. النبع: ضرب من الشجر الصلب اللين.

(٣) يقرنه سليمان والدة داود ويقول إن الله عنه خليفة.

(٤) يمتدحه بالعدل والحلم الذي يوازن الجبال.

(٥) يقول إنه السيد، الذي ينير السبل السوي.

(٦) يقول إنه عادل في القضاء مقنع لذوي العقول.

(٧) يقول إنه حملك إياها كخير حمل يُحمل وجربك بها خير تجربة.

يبدأ قصيدته بمطلع وجداني ، فيه العاطفة والشعور ، وفيه نوع من الفلسفة التي جاءت بشكل عرضي . فهو الانسان الذي أَلَمَت به المصائب والرزايا ، وتحمل قسوة الحياة ، ولكنه سلاها . وأيقن أنه سيموت ، وهذه نتيجة حتمية لكل كائن حي ، وميته ستكون طبيعية ، وإما قتلاً . وبالنتيجة تتعدد الأسباب والموت واحد . والدهر لا يكتفي بما أنزل به من خطوب جسام ويحاول أن يسلبه عقله .

ثم ينتقل لموضوعه الأساسي في القصيدة وهو المدح . فالوليد ابن عبد الملك بنظره هو أفضل خليفة تقصده الناس ، وتنزل عنده المطايا . وهو خير الحلفاء القدماء والمحدثين ، لما يتحلى به من صفات الحلم والإيمان ، والكرم والجود . هو الذي جرى على غرار أبيه عبد الملك في سياسة الرعية والعدل بين الناس . وهو فرع من أصل شريف وكريم ، ويقرنه هنا بسليمان النبي ووالده داود ويقول إن الله عينه خليفة ، والخلافة بالنسبة له قضاء من الله ولا مرد لقضائه . ومن اختاره الله لا بد من أن يكون عادلاً وحالماً وجميلاً . وهو نور البدر الذي يضيء سبل العامة في ليالها المظلم . وهو عادل في قضائه ، مقنع لذوي العقول والحجى . وهذه المسؤولية التي أناطها الله بالخليفة ، حملها الوليد وكان خير الحاملين ، وإن الله جربه بها خير تجربة ، فكان لها ، وأرضى الرعية والله في آن واحد .

وَيَمْدَحُ آلَ الْمُهَلَّبِ . فيقول (*) :

لَأَمْدَحَنَّ بَنِي الْمُهَلَّبِ مِذْحَةً
غُرَاءَ ظَاهِرَةً عَلَى الْأَشْغَارِ^(١)
مِثْلَ النُّجُومِ ، أَمَامَهَا قَمَرُهَا
يَجْلُو الدُّجَى وَيُضِيءُ لَيْلَ السَّارِي^(٢)
وَرِثُوا الطَّعَانَ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَالْقَرَى
وَحَلَّائِقًا كَتَدْفِقِ الْأَنْهَارِ^(٣)
أَمَّا الْبَنُونَ فَلِإِنَّهُمْ لَمْ يُورَثُوا
كَثْرَتُهُ لِبَنِيهِ يَوْمَ فَخَارِ^(٤)
كُلِّ الْمَكَارِمِ عَنِ يَدَيْهِ تَقَسَّمُوا
إِذْ مَاتَ رِزْقُ أَرَامِلِ الْأَمْصَارِ^(٥)
كَانَ الْمُهَلَّبُ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةً
وَحَيَا الرِّيعِ وَمَقِيلَ الْفُرَّارِ^(٦)
كَمْ مِنْ غَنَى فَتَحَ إِلَهُ لَهُمْ بِهِ
وَالْخَيْلُ مُقْبِعَةٌ عَلَى الْأَقْتَارِ^(٧)

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٩٥ - ٥٠١ .

(١) يقول : إنه يمدحهم أفضل مديح .

(٢) الساري : السائر ليلاً .

(٣) القرى : الضيافة .

(٤) يقول : إنه لا مثيل للتراث الذي خلفه لأبنائه .

(٥) المكارم : الصفات الحسنة .

(٦) سكينه : أمناً .

(٧) المقبعة : المقبعة على مؤخرتها . الأقتار : الجوانب .

إني رأيتُ يزيدَ عندَ شبابه
 لبسَ التَّقَى ومهابةَ الجَبَّارِ
 مَلِكٌ عَلَيْهِ مهابةُ المَلِكِ التَّقَى
 قَمَرُ التَّمَامِ بِهِ وشمسُ نهارِ
 وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهُمْ
 خُضَعَ الرِّقابُ نواكسَ الأبصارِ
 أيزيدُ إنكُ لـلْمَهْلَبِ أدركتُ
 كَفَّاكَ خَيْرَ خلائقِ الأخيارِ
 أما العراقُ فلم يكنْ يُرجى به
 حتى رَجِعتْ عواقبُ الأطهارِ^(١)
 فجمعتْ بَعْدَ تَفَرُّقِ أجنادِهِ
 وأقمتْ مَيْلَ بنائِهِ المنهارِ
 ولينزلنَ بجيلِ جيلانَ الذي
 تركَ البحيرةَ مُحَصَّدَ الأمرارِ^(٢)
 جيشٌ يسيرُ إليه ملتَمِسُ القَرَى
 غصباً بكلِّ مُسَوِّمٍ جَرَّارِ^(٣)

(١) يقول إن العراقيين كانوا خائفين شغلوا عن الإنجاب بالوجل والقلق.

(٢) جيلان: قوم من القرس. الجيل: الجماعة. المحصد: المفتول. الأمرار: الجبال.

(٣) القرى: الضيافة. غصباً: كرهاً. المسوم: المعلم. الجرار: الشديد الزحف.

لَجِبَ يَضِيقُ بِهِ الْفَضَاءُ إِذَا غَدَا
وَأَرَى السَّمَاءَ بَغَابَةً وَغَبَارٍ^(١)
وَطَلَّتْ جِيَادُ يَزِيدَ كُلِّ مَدِينَةٍ
بَيْنَ الرُّدُومِ وَبَيْنَ نَخْلٍ وَبَارٍ^(٢)
يَحْمِي الْمَكَارِمَ بِالسِّيفِ إِذَا عَلَا
صَوْتُ الظُّبَاتِ يُطْرَنَ كُلُّ شَرَارٍ^(٣)
إِنَّ الْقُصُورَ بِجِيلٍ جِيلَانَ الَّتِي
أَعْيَتْ مَعَاقِلُهَا بَنِي الْأَحْرَارِ^(٤)
فَتَحَتْ بِسَيْفِ بَنِي الْمَهْلَبِ إِنَّهَا
لِللَّهِ غَاذَتُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ^(٥)
غَلَبُوا بِأَنْتَهُمُ الْفُؤَارِسُ فِي الْوُغَى
وَالْأَكْثَرُونَ غَدَاةَ كُلِّ بَشَارٍ^(٦)
وَالْأَحْلَمُونَ إِذَا الْحُلُومُ تَهْزَمَزَتْ
بِالْقُومِ لَيْسَ حُلُومُهُمْ بِصَغَارٍ^(٧)

(١) اللجب: الصنخب.

(٢) الرودوم ونخل وبار: موضعان في بلاد العرب.

(٣) الظبات: جمع ظبة، حد السيف.

(٤ - ٥) يقول: إن القصور التي كانت في جيلان والتي عجز عنها بنو الأحرار أي الفرس فتحها أبناء المهلب.

(٦) الوغى: الحرب.

(٧) صفات الحلم والغروسية لبني المهلب.

والقائدون إذا الجيادُ تروحت
ومضين بَعْدَ وجيٍّ على الحزوار^(١)
حتى يَرِغْنَ وهنَّ حول مُصَّمِّمٍ
بالتَّاج في خَلْقِ الملوكِ نُضَارٍ^(٢)

إنه يمدح آل المهلب بأفضل مديح، حسب رأيه. فهم النجوم التي تضيء الدجى وتفتك بالظلام. وهم الكرام والحافظون لتراب آبائهم وأجدادهم. والمهلب حينما حكم العراق، بث الأمن والسكينة فيه، وأخصبه. وطارد الهاربين من وجه العدالة. وهذه القيمة المعنوية والمادية التي حصل عليها بني المهلب هي هبة من عند الله. لم تأتهم بواسطة قتال أو حرب.

ويتهي من العام ويصل إلى الجزء. ويبدأ بيزيد بن المهلب. فهو فتى، وتقي لا يميل إلى المجون، وله هبة الجبابة. والده قمر، وأمه شمس، وبهذا اكتسب الجمال ومجبة الناس واطمئنانهم له. وهو ينسب إلى أبيه إذ يعتبره الشاعر هنا أفضل الخلق، جمالاً وقوة. لأن العراقيين كانوا خائفين لغيابه، وشغلوا بالقلق والوجل حتى قلَّ الانجاب بينهم. وجيشه قوي ومنتصر على الأعداء بشكل دائم. إنه جيش لجب صاحب من كثرته، وانه يسد الفضاء بالغبار، وتبدو الرماح والسيوف من دونه وكأنها غابة

(١ - ٢) الوجي: الحفا. الحزوار: الأرض الغليظة. النضار: الكريم كالذهب.

ذات أشجار كثيرة . ، وأمه التي ولدت الذكور عرفت أن أبناءها ، أو
كلًا من هؤلاء يحمي مكارمه ومجده بحد السيف والدليل على
ذلك أن القصور التي كانت في جيلان والتي عجز عنها بنو الأحرار
أي الفرس ، فتحها أبناء المهلب ، وذاك دأب المهلبين في
انقضاضهم على الكفار وتأديبهم . والقوة عندهم ترفد بالعقل
الراجح ، فعقولهم لا تهزها الأمور الجلل . حتى إن خيولهم تغزو
وتجري حافية على الأرض الغليظة ، وتعود إلى كنف أصحابها
المهلبين ، وهم ملوك ذوو تاج كرام .

إن الفرزدق في مدحه لبني أمية لم يكن صادقاً كل الصدق
ولكن الظروف أجبرته على سلوك هذا الدرب ، إما رغبة بالمال
والتكسب ، وإما رهبة من بطشهم وقوتهم . وهذا ما نلاحظه في
مواقفه المتضاربة والمتناقضة . فهو الذي يعرض بهشام بن عبد
الملك بعدما حبسه إثر قوله قصيدة في مدح الإمام زين العابدين
علي بن الحسين ، ولم يستنكف من مدحه لما تبوأ سدة الخلافة .
فقصده إليه في الرصافة وأنشده قصيدة يقول فيها :

رَأَى اللَّهُ أَوْلَى النَّاسِ طَرّاً
بِأَعْوَادِ الْخِلَافَةِ وَالسَّلَامِ

أفيمكن أن يخلص الفرزدق في مدحه هشام ويصدق في زعمه
أنه أولى الناس بالخلافة وهو القائل فيه : « تبين الشؤم فيه وهو
غلام » . وحسبك أن تقابل قوله في هشام بقوله في زين العابدين

لترى الفرق بينهما، وتعلم أن الفرزدق لم يمدح هشاماً إلا خائفاً، أو مستجدياً يستمطر الربيع لعياله، فكان شعره متكلفاً خالياً من العاطفة. وانه لم يمدح زين العابدين إلا مشغولاً بمناقبه ومناقب آله. فجاء شعره عاطفياً صرفاً لا أثر فيه للتكلف. وأنى يكون التكلف في قصيدة جاش بها صدر الشاعر فقذفها بيتاً إثر بيت. ويختلف أسلوبه فيها عن أسلوبه في مدح هشام، فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه، ولكنه يث عاطفة متقدة بحب آل البيت، عاطفة تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب في الآخرة. وإذا علمنا أن زين العابدين أرسل إلى الفرزدق أربعة آلاف درهم لما بلغته القصيدة، فردها الفرزدق إليه وقال له: «إنما مدحتك بما أنت أهله». لكنه كان يطلب ويستجدي من الأمويين.

هذا هو الفرزدق الذي لم يترك خليفة وأميراً، إلا وقال فيه الهجاء حيناً، والمدح أحياناً. إنه إنسان لم يكن على هوى بني أمية ولكنه كان يسائر الظروف، وهو بهذه الصفة سياسي يعرف المواقف والرجال وتأثير الكلمة في كل مجال.

الغزل عند الفرزدق :

لم يكن الفرزدق ممن يحسنون الغزل والتشبيب بالنساء، فإذا نسب جاء قوله غليظاً جافياً لا ترتاح إليه النفوس. وكان يشعر بتصلب عاطفته وخشونة تشبيهه فيقول: «ما أحوج جريراً مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره مع شدة فسقي».

وقد يخرج في غزله إلى المعاني الوحشية السمجة التي تنبوعها
الأذواق كقوله :

فيا ليتنا كنا بعيرين، لا نرى
على منهل، إلا نُشَلَّ، ونقذف^(١)
كلانا به عرُّ يُخَافُ قِرافهُ
على الناس، مَطْلِيُّ المساعر أخشف^(٢)

إنه غزل جاف، فيه المشاكسة والخلاف. صادر عن طبع
ناشف لا يدرك المرامي التي تريدها النساء وهي الكلمة الحلوة
الطرية، والمعاني الجميلة الناعمة.

فكل ما يتمناه لنفسه ولمن يحبها أن يكونا بعيرين جربين
بعدين عن الناس لأن الناس بطبيعة الحال تخشى مخالطتهما.
فإذا وردا المناهل طردا وقذفا بالحجارة، وهما لشدة جربهما يبس
جلدهما وطليت مساعرهما بالقطران، وكل ما يتمناه الانفراد
بالحبيبة والابتعاد بها عن العالم، فاشتتهى لها وله هذه الشهوة
الممقوتة. والحقيقة أنه لو هجا في مثل هذه المعاني لكان لكتب
له التوفيق، ولكن غزله هنا جاء بعيداً عن الصفات الجميلة
والرقيقة التي يجب أن تكون في الغزل.

(١) بعيرين. جملين. المنهل: مورد الماء. نشل: تطرد. نقذف: نرمي بالحجارة.

(٢) العر: الجرب. قرافه: مخالطته. المساعر: أصول الفخذين والإبطين.

أخشف: يابس الجلد من الجرب.

دَعَوْنَ بِقَضْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى
 لَهَا الرِّكْبُ مِنْ نَعْمَانٍ آيَامَ عَرَفُوا^(١)
 فَمِخْنَ بِهِ عَذْباً رُضَاباً بِأَغْرُوبَةٍ
 رِقَاقٍ وَأَعْلَى خَيْثُ رُكْبَيْنِ أَعْجَفُ^(٢)
 لَيْسَنَ الْفِرْنَدِ الْخَسِرَوَانِيَّ دُونَهُ
 مَشَاعِرَ مِنْ خَزْرِ الْعِرَاقِ الْمُفَوِّ^(٣)
 فَكَيْفَ بِمَحْبُوسٍ دَعَانِي وَدَنَهُ
 دُرُوبٌ وَأَبْوَابٌ وَقَصْرٌ مُشْرِفٌ^(٤)
 وَضَهْبٌ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ
 لَهُمْ دَرَفٌ تَحْتَ الْعَوَالِي مُصَفَّفٌ^(٥)
 وَضَارِيَةٌ مَا مَرَّ إِلَّا اقْتَسَمْنَهُ
 عَلَيْهِنَّ خَوَاضٌ إِلَى الطَّنْءِ مِخْشَفٌ^(٦)

(١) يقول: إنهن يتسكنن بالمشاويك التي جلبت من موضع النعمان، وقد أتى بها الركبان يوم حجوا في عرفات.

(٢) مِخْنٌ: سقيين. الغروب: التشقق في الأسنان. الأعجف: الضعيف اللثة.

(٣) الفرنند: الثوب الفارسي وأصلها اليرند، الخسرواني: نسبة إلى خراسان.

المشاعر: الثوب يرتدى على شعر الجسد، المفوف: الكثير التخطيطط والتنعيم.

(٤) يقول: راود امرأة مجبوسة في خدرها، وقد أنفذت إليه رسولا من دونها الحراس والدروب الكثيرة، والأبواب المغلقة، والقصر المنيف.

(٥) صهب اللحى: أراد حرساً رومياً.

(٦) ضارية: أي كلاب ضارية، اقتسمنه: أي اقتسم نهشه بينهن. الخواض:

الجريء، الطنء: الرية. مخشف: سريع مروره.

يُبَلِّغُنَا عَنْهَا بِغَيْرِ كَلَامِهَا
إِلَيْنَا مِنَ الْقَصْرِ الْبَنَانِ الْمُطَرَّفُ (١)
دَعَوْتُ الَّذِي سَوَى السَّمَوَاتِ أَيْدُهُ
وَلَهُ أَدْنَى مَنْ وَرِيدِي وَالْطَفُ (٢)
لِيَشْفَلَ عَنِّي بِعَمَلِهَا بِزَمَانَةٍ
تُدْلِيهِ عَنِّي وَعَنْهَا فَتُسَعَّفُ (٣)
بِمَا فِي فُؤَادِنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْهَوَى
فَيَرَأُ مِنْهَا ضُ الْفُؤَادِ الْمُسَقَّفُ (٤)
فَأَرْسَلَ فِي عَيْنَيْهِ مَاءً عَلاَمًا
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَطْبُ وَأَعْرِفُ (٥)
فَدَاوِيَّتُهُ عَامِينَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ
أَرَاهَا وَتَدْنُو لِي مِرَارًا فَأَرْشُفُ (٦)

(١) المطرف: المخضوب الأطراف.

(٢) أيده: قوته.

(٣) زمانة: مرض. تدليه: تذهب عقله.

(٤) منهاض الفؤاد: كسيره. المسقف: المربوط عليه خشب الجوائر أي العيدان التي تربط على الكسر.

(٥) يقول: إنه يطلب أن يرسل إلى عيني الزوج ماء أزرق أو أسود يعميهما، ويُطَلَّبُ إليه الشاعر على أنه الطبيب المداوي.

(٦) يقول إنه يظل يداويه عامين وهي دانية منه يترشف ثغرها.

ومن غزله المقبول نسبياً قوله *

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ
وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَذْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ^(١)
وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ، حَتَّى كَأَنَّمَا
تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَيْلِفُ^(٢)
لِحَاجَةِ صُرْمٍ لَيْسَ بِالْوَصْلِ إِنَّمَا
أَخُو الْوَصْلِ مَنْ يَذْنُو وَمَنْ يَتَلَطَّفُ^(٣)
إِذَا انْتَبَهَتْ حَذْرَاءُ مِنْ نَوْمَةِ الضَّحَى
دَعَتْ وَعَلَيْهَا ذَرْعُ خَزْءٍ وَمِطْرَفُ^(٤)
بِأَخْضَرٍ مِنْ نَعْمَانَ ثُمَّ جَلَّتْ بِهِ
عِذَابُ الثَّنَايَا طَيِّباً حِينَ يُرْشَفُ^(٥)
وَمُسْتَنْفِزَاتٍ لِلْقُلُوبِ كَأَنَّمَا
مَهَا حَوْلَ مُتَوَجِّاتِهِ يَتَصَرَّفُ^(٦)

(*) الديوان: - ج ٢ - ص ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ .

(١) عزفت: صدقت، وانصرفت. أعشاش: موضع. حذرء: اسم امرأة الشاعر.

(٢) تيلف: تآلف، وهي لغة تميم.

(٣) الصرم: القطع.

(٤) يقول إن حذرء منصحة، وإنها حين تستيقظ في الغداة وتنادي الخدام وترتدي

لباس الخز والمطارف.

(٥) الأخضر: أي مساكن أخضر. نعمان: موضع بناحية عرفت.

(٦) مستنفضات: محركات. متوجاته: أراد بها أولاده. يتصرف: يروح ويحي.

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ
 جَنَى النَّخْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرَمٍ يُقَطَّفُ^(١)
 مَوَانِعُ لِلْأَسْرَارِ إِلَّا لِأَهْلِهَا
 وَيُخْلِفْنَ مَا ظَنَّ الْغَيُورُ الْمَشْفِيفُ^(٢)
 يُحَدِّثْنَ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
 أَحَادِيثَ تَشْفِي الْمَدْنِفِينَ وَتَشْفُفُ^(٣)
 إِذَا الْقُبُضَاتُ السَّوْدُ طُوفْنَ بِالضَّحَى
 رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَالُ الْمُسْجِفُ^(٤)
 وَإِنْ نَبَّهْتُهُنَّ الْوَلَانِدَ بَعْدَمَا
 تَصْعَدُ يَوْمُ الصَّيْفِ أَوْ كَادَ يَنْصَفُ^(٥)
 سَلَافَةُ جَفْنٍ خَالَطَتْهَا تَرْيُكَةُ
 عَلَى شَفْتَيْهَا وَالذَّكِيُّ الْمُسُوفُ^(٦)
 فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا بِعَيْرِينَ لَا نَرِدُ
 عَلَى مَنْهَلٍ إِلَّا نُشَلَّ وَنَقْذَفُ^(٧)

(١) مساقطة الكلام: أن يتكلم شخص فيصغي إليه آخر ثم يسكت فيتكلم غيره وهكذا دواليك. أبكار الكرم: العنب.

(٢) موانع للأسرار: أي أنهن لا يتزوجن إلا من كان كفواً لهن. المشفشف: أصلها المشفف، كسر الشين، وهو المقتش عن المساوي.

(٣) المدنف: المتيماً حباً. تشفف: أي نصيب شغاف القلب.

(٤) القبضة: المرأة القصيرة. الحجال: الستر. المسجف: له ستران على الباب.

(٥) يقول: إنهن يوقطن في منتصف النهار وحين يتشر الحر.

(٦) السلافة: الخمرة. المسوف: الطيب الذي يشتم.

(٧) نشل: نطرد، ونقذف بالحجارة.

كلانا به عرُّ يُخَافُ قِرَافُهُ
 على النَّاسِ مُظِلِّي المَسَاعِرِ أَخْشَفُ^(١)
 بأَرْضِ خِلاءٍ وَحَدَنًا وَثِيَابِنَا
 مِنَ الرِّبْطِ وَالدِّيَاجِ دِرْعٌ وَمِلْحَفُ^(٢)
 وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ: سُلَافَةٌ
 وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الغِمَامَةِ قَرْقَفُ^(٣)
 وَأَشْلَاءُ لَحْمٍ مِنْ حِبَارَى يَصِيدُهَا
 إِذَا نَحْنُ شَتْنَا صَاحِبِ مُتَأَلَّفُ^(٤)
 لَنَا مَا تَعْنِينَا مِنَ العَيْشِ مَا دَعَا
 هَدِيلاً حَمَامَاتُ بِنَعْمَانِ هُتَفُ^(٥)

إننا أمام لوحة غزلية وجدانية . أمام صورة من صور الفرزدق . إذ نراه حائراً متألماً لما آل إليه وضعه بعدما تركته زوجته حدراء وأبقتة وحيداً يقاسي ألم البعد والجفلة ، في بيت أصبح ملعب ذكريات الشاعر ، ويكاد أن يصبح قبره ، بعدما ألمه الفراق ، وإنه لا يعلم عنها شيئاً ، وكأنه يلومها لأنها هي التي ألحت بقطعه وهجرانه ، وإنه أبدى لها الحب والعطف والحنان .

(١) العر: الجرب ، قرافه : مخالطته . الأخشف : الجلد اليابس . وقد عيب الفرزدق على هذه الأمنية الحيوانية .

(٢) الربط : الواحدة ربطة . كل ثوب يشبه الملحفة . درع : ثوب تلبسه المرأة .

(٣) السلافة : الخمر . القرقف : الماء البارد .

(٤) الحبارى : طائر . المتألف : الذي ربيناه وتألّفناه .

(٥) مادعا هديلاً : يريد أن يكون عيشهما هذا دائماً مادام الحمام يهف بنعمان .

ويبقينا في الصورة مع حذراء ليصف دقائق الأمور معها . فهي
الإنسانة المرفهة المنعمة . إنها حين تستيقظ في الغداة لا تفعل
شيئاً ، فالخادم تقوم بتلك الأعمال وهي تناديهم وترتدي لباس
الخز والمطارف ، وتستعمل السواك الأخضر في تنظيف أسنانها
الطيبة عند الارتشاف ، وهي كالمهاحول أولادها تقبل وتدبر ،
وحديثها يشبه طيب العسل وطعم العنب البكر الذي قطف لتوه .
وإنهن لا يتزوجن سراً ممن لا يكون كفواً لهن ، كما أنهن يُخين
ظنّ الغيور المتحري عن أخبار . وهنا يستعمل صيغة الجمع في
حديثه ورسم صوره . وإنهن يحدثن المقيم بهن ويشغفته . وهنا
يقوم بمقابلة بين زوجته - أو زوجاته - وبين النساء الأخريات .
فبينما تذهب النساء إلى العمل ، تبقى زوجاته في بيوتهن وعليهن
الأسرة الكثيرة . وهذا دليل رعاية وحب للمرأة وأنهن لا ينهضن
كما تنهض النساء في الصباح الباكر للعمل ، بل يبقين في أسرتهن
حتى منتصف النهار ، وحين اشتداد الحروا وانتشاره . وعند النهوض
يتسوكن بالمساويك التي جلبت من موضع النعمان وقد أتى بها
الركبان يوم حجوا في عرفات . ويصف الأسنان وصفاً نقلياً مباشراً
ويقول إنهن يتسوكن بأسنان ذات غروب رقيقة وإن اللثة حيث
ركبت الأسنان ضامرة وليست سمينة . ولباسهن من الخز الموشى
المجلوب من خراسان والعراق . وهنا تبدأ مغامرته مع امرأة
محبوسة في خدرها ، ومحروسة من حراس من بلاد الروم ، صهب
اللحي ، شقر ، يرتدون التروس تحت الرماح ، ويحرسها كذلك

كلاب ضارية لا يمر امرؤ من دونها حتى تتقاسم تمزيقه بأنيابها .
والمرأة المقصودة عنده لا تعرفه ولم تكلمه ، وإنما تشير إليه
بأناملها المخضبة ، وهنا يدعو الفرزدق الله وعونه في هذه الحال
الصعبة ، والله أدنى إليه من وريده . ويطلب أن يشغل زوجها
بالمرض ، لكي يلتقيا ويشفي قلوبهما المحطمين والطبيب للزوج
هنا هو الشاعر ذاته الذي يتمنى أن يرسل إلى عيني الزوج ماء أزرق
أو أسود ليعميهما . وبقي الشاعر يداوي الزوج عامين كاملين ،
والزوجة بجانبه يرتشف دموعها التي تبلغ الثغر . وطيبها الجميل
يفرح بكل الأرجاء .

لكن المفاجأة بعد هذا كله ، بما يتمناه الشاعر له ولحبيبته .
يتمنى أن يكونا مصابين بالجرب ، طلياً بالقطران ، ولا يُقاربان .
وقد تنفس الشاعر عن ذاته البدائية الوحشية في حال الوجد ،
واستعار من بيئة البادية للشوق ما لا يساغ وبالرغم من حالة الجرب
والقطران يتمنى أن يقيم مع حبيبته في مكان خلاء ، ليس معهما
سوى الخمرة والماء ولحم الطيور يصيدها لهما ألف أليف ، وهذا
حلم مفعم بالوجد الرومانسي وفقاً للتعبير الحديث المعاصر ،
ولكنه كُبي واقع الشاعر الجاف ونفسيته وبيئته .

والواضح في هذه القصيدة أن الفرزدق لم يمتلك الرقة
والإحساس في غزله وجاءت صورته باهتة ، وتعبيره مباشراً ، بعيداً
عن الشعور ، وأسلوب التقرير واضح وبائن . وفي كثير من الأبيات

ترى العبارات في غاية الثرية والذي ينفر الذوق بعد ذلك كله تلك
الأمنية التي يتمناها والتي أتينا على ذكرها حيث المعاني البدائية
الوحشية السمجة التي تنبوع عن كل الأذواق.

وتجد في ديوانه قصيدة من القصص الغرامي، يروي فيها خبر
زيارة ليلية. هي أشبه بزيارة ابن أبي ربيعة أو زيارة امرئ القيس
ولكنه يقصر عنهما في السرد والحوار. ولا يجاريهما في الرقة
ولطف التعبير فمنها قوله:

فما زِلْتُ حتى أصعدتني جبالها
إليها، وليلي قد تخامص آخره^(١)

فإذا بلغ إليها ووصل، لا يسمعك حواراً بينهما كما يسمعك
الملك الضليل، وفتى قريش. بل يلتقيها صامته ما تنبس بنت
شفة، فيصف مجلسه بأبيات ثلاثة(*):

فلما اجتمعنا في العلامي بيننا
ذَكِيٌّ أتى من أهل دارين تاجر^(٢)
نَقَعْتُ غليل النفسِ إِلَّا لَبَانَةً
أَبْتُ مِنْ فُؤَادِي لَمْ تَرْمَهَا ضَمَائِرُهُ^(٣)

(١) تخامص الليل: رقت ظلمته عند السحر.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٥٧.

(٢) الذكي: الطيب. دارين: موضع باليمن.

(٣) نقعت: رويت غليل النفس. لبانة: حاجة. أبت: عصت.

فلم أر منزولاً به بعد مَجْمَعَةٍ
الَّذِي قَرَى لَوْلَا الَّذِي قَدْ نَحَاذِرُهُ^(١)

أي أنه حينما اختلى بها ، فاح بينهما الطيب الذي أتى به
تاجره من دارين بالبحرين - وأنه روى ظمأه ، وحقق غايته إلا
واحدة تعصت وأقامت في ضميره . وأنه لم يكذب ينزل في منزل
يطيب فيه القرى وإكرام الضيف لولا ما كانوا يخشونه من
الطارئين .

ثم يقول ذاكراً تخوفه من الرجوع :

أَحَاذِرُ بَوَابِينَ قَدْ وَكَّلَا بِهَا
وَأَسْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَنْطُ مَسَامِرُهُ^(٢)
وهنا يسألها :

فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ النُّزُولُ ؟ فَإِنِّي
أَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّى وَصَوْتُ طَائِرِهِ^(٣)
فتجيبه بقولها مظهرة المصاعب التي تكثفها (*) :

فَقَالَتْ : أَقَالِيدُ الرَّتَاجِينَ عِنْدَهُ
وَطَهْمَانُ بِالْأَبْوَابِ ، كَيْفَ تَسَاوَرُهُ

(١) نحاذره : نخشاه ، نخافه .

(٢) الساج : الخشب . تنط : تصر وتصرّت .

(٣) يقول إنه تحرى منها كيف النزول ، والليل قد مضى وبات الطير بصوت ويغرد .

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٥٧ - ٣٥٦ - ٣٥٧ .

أبا السيف أم كيف التسنني لموثقي
عليه رقيبٌ دائبٌ الليلِ ساهره

فيطلب إليها أن تدليه بالحبال كما أصدته . فتفعل وتساعدنا
على إنزاله رفيقة لها :

فقلتُ: تبغي من غير ذاك محالةً
وللأمر هيئاتٌ تُصابُ مصادره^(١)

لعلّ الذي أصدتني أن يرُدّني
إلى الأرض إن لم يقدرِ الحينَ قادره^(٢)

فجاءت بأسبابٍ طوالٍ وأشرفتُ
قسيمةً ذي زورٍ مخوفٍ تراتره^(٣)

أخذتُ بأطرافِ الحبال وإنما
على الله مِنْ عَوْصٍ الأمور مياسره^(٤)

فقلتُ: اقْعُدَا إِنَّ الْقِيَامَ مَزَلَةٌ
وَشُدًّا معاً بالحبَلِ، إني مخاطره^(٥)

(١) المحالة: الحيلة . هيئات: أحوال .

(٢) الحين: الموت .

(٣) الأسباب: الحبال . أشرفت: بانت . القسمة: الملح . الزور: الزيادة . التراتر: الشدائد .

(٤) العوص: الأمور الشديدة . مياسره: التيسير .

(٥) يقول إنه طلب منهما أن تجلسا وأن تشدّا بالحبَلِ ، وإنه سيخاطر بالتزول متديلاً .

إِذَا قُلْتُ قَدْ نَلْتُ الْبِلَاطَ تَذْبِذْتُ
 حِبَالِي فِي يَبْقِي مَخُوفٍ مَخَاصِرُهُ (١)
 مُنِيفٍ تَرَى الْعُقْبَانَ تَقْصُرُ دُونَهُ
 وَدُونَ كُبَيْدَاتِ السَّمَاءِ مَنَاطِرُهُ (٢)
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رَجُلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَتَا
 أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرُهُ؟ (٣)
 فَقُلْتُ: أَرْفَعَا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا
 وَلَوِيتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَبَادَرُهُ (٤)
 هُمَا وَلِتَّانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
 كَمَا انْقَضَ بَازٍ أَقْتَمَ الرِّيشَ كَاسِرُهُ (٥)
 فَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسَ وَأَصْبَحْتُ
 مَغْلَقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهُ (٦)

(١) البلاط: الأرض المفروشة بالبلاط. تذبذبت: اضطربت. النيق: الحبل.

مخاصره: مراقبه.

(٢) المنيف: العالي. يقول إنه قصر عال لا تطاله العقبان وهو يكاد يمس كبد السماء.

(٣) ومعناه أنه لا مرس أخيراً الأرض فصاحت: هل أنت حي أم ميت نخشى عليه؟

(٤) يقول إنه طلب منهما أن ترفعا الحبل وتولى هارماً في أواخر ليل ينزل في قلبه.

(٥) يقول انهما هما دلتاه من علو ثمانين قامة. وبدا كأنه البازي الذي انقض وهو

أسود الريش كاسر. ينحدر في طلب الفريسة.

(٦) يقول انه نزل وأصبح بين الناس الجلوس دونه. ولم يعد له قبل بارتداد ذلك

القصر وقبابه ممنوعة عنه.

وبانت كدودة الجواري ويعلمها
 كَثِيرٌ دَوَاعِي بَطْنِهِ وقراقره^(١)
 ويحبها بانت حصاناً وقد جرت
 لنا بُرْتَاها بالذي أنا شاكره^(٢)
 فيا ربَّ إن تغفر لنا ليلة النقا
 فكل ذنوبي أنت يا ربَّ غافره^(٣)

حواره هنا باهت وفاتر. لا حياة فيه ولا روح. وكل ما عناءه أنه
 مغامر فذ. وجاءت الحقيقة غير ذلك. فالشعور جامد،
 والأحاسيس متحجرة. وحركة الحوار بائسة لا روح فيها ولا حركة.
 وصورة باهتة لا تصغي إليها النفس. والحقيقة تأتي على لسانه
 يقول: «ما أحوج جريراً مع عفته إلى صلابة شعري، وما
 أحوجني إلى رقة شعره مع شدة فسقي».

ويقول متغزلاً^(٤):

عَجِبْتُ لِحَادِثِنَا الْمُقَحَّمِ سَيْرُهُ
 بِنَا مُزْجِفَاتٍ مِنْ كَلَالٍ وَضُلَعَا^(٥)

(١) الدودة: الأرجوحة. قراقره: أي قرقرة بطنه.

(٢) الحصان: العنيفة. برتلتها: خلخالها.

(٣) النقا: منقطع الرمل. إنه يطلب من الله أن يغفر له ما فعل في ليلة النقا ويُردف
 بأنه إذا ما غفر له الله ذلك، فإنه يكون قد غفر ذنوبه كلها.

(٤) الديوان ج ٢ - ص ٧٦ - ٧٧.

(٥) الحادي: سائق الإبل. المقحم سيره: الجاد في المسير.

لِيُذْنِنَنَا مِمَّنْ إِلَيْنَا لِقَاؤُهُ
 حَيبٌ وَمِنْ دَارِ أَرْدُنَا لِيَتَجَمَّعَا^(١)
 وَلَوْ نَعْلَمُ الْعِلْمَ الَّذِي مِنْ أَمَانَا
 لَكَرْبُنَا الْحَادِي الرِّكَابَ فَاسْرِعَا^(٢)
 لَقُلْتُ ارْجِعْنَهَا إِنْ لِي مِنْ وَرَائِهَا
 خَذُولِي صَوَارٍ بَيْنَ قُفٍّ وَأَجْزَعَا^(٣)
 مِنْ الْعَوَجِ أَعْنَاقًا عِقَالُ أَبُوهُمَا
 تَكُونَانِ لِلْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبِ مَعَا^(٤)
 نَسَاوُ لَهَا يَوْمَانِ: يَوْمٌ غَرِيرَةٌ
 وَيَوْمٌ كَفَرْتُ جِرْوُهَا قَدْ تَيْفَعَا^(٥)
 يَقُولُونَ زُرْ حِدْرَاءَ وَالتَّرْبِ دُونَهَا
 وَكَيْفَ بَشِيءٍ وَصَلُّهُ قَدْ تَقَطَّعَا^(٦)
 وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بَزَائِرُ
 تُرَاباً عَلَى مَرْسُومَةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا^(٧)

(١) لِيُذْنِنَنَا: لِيَقْرَبَنَا.

(٢) يقول إنها لو علمت من تتجمع لضاعف الحادي من عدوها.

(٣) الخذول: البقرة الوحشية. الصوار: قطع البقر الوحشية. قف وأجزع: مكانان.

(٤) يقول إنهما يرويان العين والقلب وإنهما من بني عقال وإنهما طويلا العنقين.

(٥) الغرثى: اللبوة.

(٦) يقول: أنهم يطلبون منه زيارة حدراء زوجته التي طلقها. والموت أقرب من اللقاء بينهما كما يبدو.

(٧) المرسومة: المدفونة. تضعضع: اطمأن.

وأهونُ مَفْقُودٍ، إذا الموتُ نَالَهُ
 على المرءِ من أصحابِهِ من تَقَنَعَا^(١)
 يقولُ ابنُ خَنْزِيرٍ بَكَيْتُ، ولم تَكُنْ
 على امرأةٍ عَيْنِي، إِحَالُ لَتَذَمَعَا^(٢)
 وأهونُ رُزْءٍ لامرئٍ غيرِ عاجِزٍ
 رزيةٌ مُرتَجِ الروادِفِ أفرعَا^(٣)
 وما ماتَ عِنْدَ ابنِ المَرَاغَةِ مِثْلُهَا
 ولا تَبَغْتُهُ ظَاعِنًا حَيْثُ دَعَدَعَا^(٤)

في هذه القصيدة غزل على طريقة الفرزدق. إذ لا تخلو من
 العاطفة التي تدفعه إلى التذكر، وأماكن الأحبة، مثل زوجته
 حدراء.

ويرسم صورة جميلة لذلك الحادي الذي يسوق الإبل،
 ويتعسف في سوقها حتى بدت وكأنها تزحف وتجبو من كلالها،
 وكانت تعرج وتظلم عاجزة عن إكمال العدو والمسير. وكل
 هذه السرعة الخاطفة ليدنو الفرزدق ممن يحب، ومن يؤثر أن
 يجتمع وإياه في دار الإلفة والمودة. ولو علمت الإبل ما يجيش

(١) تقنع: لبس الحجاب.

(٢) يقول: إن جريراً يعيره ببكائه على زوجته وهو لم يبك قط امرأة.

(٣) مرتج الروادف: المرأة التي ترتجف أودافها حين تسير. الأفرع: الضوئل.
 الفرع: الشعر.

(٤) دعدع: صاح. ظاعناً: مرتحلاً.

بنفسية الشاعر لضاعفت من عدوها. وفي هذه اللحظة لحظة
 الابتعاد عن الديار والأهل تنور عاطفة الفرزدق، ويتمنى ويود أن
 يطلب من الحادي المتعجل أن يرجع به إلى ذينك الموضعين
 حيث خَلَف امرأتين جميلتين، كبقرتين وحشيتين. وهما يرويان
 العيس والقلب، إنهما من بني عقال، وإنهما طويلتا العنق وإن
 ذينك المرأتين هما زوجتاه: نوار وحدراء، ونوار تلك المرأة
 الغريرة المدلة، وهي كاللبؤة ويطلب الناس منه أن يزور حدراء
 التي تقيم بين صواحبه، لكن أنى له ذلك وقد جرى بينهما
 الطلاق، والموت أقرب إليهما من اللقاء بحد ذاته.

وينتقل إلى جرير الذي يزور قبر زوجته. وهذا عار بالنسبة
 للفرزدق إذ أن أهون شيء على المرء هو موت زوجته - وهذه غلظة
 ما بعدها غلظة - وهذه صورة ولوحة من لوحاته الغزلية الوجدانية.
 التي يبت فيها أحاسيسه وشعوره تجاه من أحب(*) :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةَ بَنِي سَامَةَ إِنِّي
 أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دَمِي^(١)
 لَنْ يَقْبَلُوا دِيَةَ، وَلَيْسُوا أَوْ يَرُوا
 مِنِّي الْوَفَاءَ، وَلَنْ يَرَوْهُ بَنُوهم^(٢)

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٢٩ وما بعدها.

(١) أخشى : أخاف.

(٢) دية : فدية.

فالَمُوتُ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ هَكَذَا
 إِنْ أَنْتَ مِنْكَ بِنَائِلٌ لَمْ تُنْعِمِي (١)
 هَلْ أَنْتَ رَاجِعَةٌ وَأَنْتِ ضَاحِكَةٌ
 لِبَنِيٍّ شِلُوا أَبِيهِمُ الْمُنْقَسِمُ (٢)
 وَلَقَدْ ضُنِيتُ مِنَ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى
 كُضْنِي بِنَفْسِي مِنْكَ أُمُّ الْهَيْثَمِ (٣)
 كَيْفَ السَّلَامَةُ بَعْدَمَا تَيْمَمْتَنِي
 وَتَرَكْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِ الْآيْهِمِ (٤)
 قَطَعْتَ نَفْسِي مَا تَجِيءُ سَرِيحَةٌ
 وَتَرَكْتَنِي ذَنْفًا عُرَاقُ الْأَعْظَمِ (٥)
 وَلَقَدْ رَمَيْتَ إِلَيَّ رَمِيَّةً قَاتِلَ
 مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَعَارِضِيكَ بِأَسْهِمِ (٦)
 فَاصْبِتْ مِنْ كِبْدِي حَشَاشَةَ عَاشِقٍ
 وَقَتَلْتَنِي بِسِلَاحٍ مِنْ لَمْ يُكَلِّمْ (٧)

(١) أروح : أسهل .

(٢) يطلب منها أن تمن عليه لترد لأبنائه ما تبقى من أبيهم وقد صار شلواً هالِكاً .

(٣) ضنيت : عانيت .

(٤) يقول من أين له السلامة وقد خلفته وكأنه صريع بعقله ؟

(٥) عراق الأعظم : أي أكل لحم عظمه وذاب . الدنف : المنيب بالحب .

(٦) يقول إنها : أنفذت فيه سهاماً من عينها ووجهها .

(٧) أي إنها أصابت حشاشته ، وإنه أصيب دون أن يحرج بهم فعلي .

فإذا خَلَقْتَ هناكَ أنكِ من دمي
 لبريئة فتحللي، لا تأثمي ^(١)
 فلأنتِ من خللِ الجبالِ قتلتي
 إذ نحنُ بالحدقِ الدوارِ نرتمي ^(٢)
 إذ أنتِ مُقبلةٌ بعيني جُودِرِ
 وبجيدٍ أم أغنُ ليسَ بتوأمٍ ^(٣)
 وبواضحٍ رتلٍ تشفُ غروبهُ
 غذبٍ، وأذلفَ طيبِ المتشممِ ^(٤)
 وكان فارة تاجرٍ هندية
 سبقتُ إلي حديثِ فيك من الفمِ ^(٥)
 ما فرثتُ كبدي من امرأة لها
 عينان من عربٍ ولا من أعجمٍ ^(٦)
 هل أنتِ بايعتي دمي بفلائهِ
 إن أنتِ زفرة عاشقٍ لم ترحمي ^(٧)

(١) يطلب منها: أن تقبل عليه لتحلل من دمه.

(٢) الجبال: جمع الحجل، الستر تكسوه المرأة وجهها وتغطي به.

(٣) جودِر: البقرة الوحشية. أم أغن: ابن الظبية.

(٤) الواضح: الثغر النقي. الرتل: الحسن التنفيد، تشف: ترف. الغروب:

الريق الكثير. الأذلف: الأنف الصغير المستوي الأرنبة.

(٥) فارة التاجر: وعاء المسك.

(٦) فرثت: قتلت.

(٧) يطلب منها أن تبيعه دمه وأن لا تدعه يهلك.

مَا كُنْتُ غَيْرَ زَيْنَةٍ مَحْبُوسَةٍ
 بِذِمِّ لَأَخْتِ بَنِي كِنَانَةَ مُسْلِمٍ (١)
 يَا وَدَّعَ أَخْتِ بَنِي كِنَانَةَ إِنَّهَا
 لَبَخِيلَةٌ بِشَفَاءِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ (٢)
 فَلَيْتَنِي سَفَكْتُ دَمًا بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ
 لَتُخَلِّدَنِي مَعَ الْعَذَابِ الْأَلَمِ (٣)
 وَالنَّفْسُ إِنْ وَجِبَتْ عَلَيْكَ وَجْدَتُهَا
 عَبْثًا يَكُونُ عَلَيْكَ أَثْقَلُ مَغْرَمٍ (٤)
 لَوْ كُنْتُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ لِحَاوَلْتُ
 كَفَّايَ مُطْلِعًا إِلَيْكَ بِسُلَمٍ

لقد تناولنا من القصيدة بعض الأبيات الدالة والموحية إلى ما
 نصبوا إليه، إلى قراءة ملامح صور الغزل عند الفرزدق، وربما
 حالفه التوفيق نسبياً في هذه المقطوعة، لأن تعبيره كان سلساً،
 صادقاً، وفيه شعور المحب، وأحاسيس المتأوه. وتعابيره كانت
 بعيدة عن بيئة الجفاف الذي امتاز به. والقسوة التي طبعت نفسه.

(١) يقول إنه مرتين لتلك المرأة مسلم أمره لها.

(٢) إنه ليس بمجرم وهي لا تبرئه.

(٣) سفكت: ذرفت، أسكت. جريرة: ذنب.

(٤) يقول: إن نفسه إذا حسبت عليها وإنها هي التي أهلكتها، فإن ذلك سيكون
 أفدح غرم يشغلها.

حتى غدا غزله في بعض المقاطع والقصائد، وكأنه رمي جلاميد
على رؤوس السامعين .

إنه في هذه الأبيات ينسج نسجاً آخر، نسج المحبين الولهين .
إنه يخشى أن يطلب بنوه دمه لأنها سفكته بحبها . وإنهم لن يقبلوا
فدية عن أبيهم صريع الحب والغرام، وربما قتلوها، إلا إذا رأوا
منها الوفاء لأبيهم . وهو في هذه الحالة هائم يائس . إذ يفضل
الموت على الحرمان الذي يعانيه بحبها، ويتذلل كي تمن عليه،
وترد لأبنائه ما تبقى من أبيهم الذي صار شلواً هالكاً، من كثرة
المعاناة مع النساء، ومن أين السلامة تأتيه وهو بحال تدمع العين
وقد أصبح بفعلها صريعاً، وشبه مجنون . إنه في هزال وتعب،
وإنها مزقت نفسه ولم يعد له قِبَلٌ بلم شعثها، إذ خلّفته مدناً قد
برى لحم عظامه وذاب جسمه، نتيجة السهام المباشرة التي
أطلقتها على قلبه من عينيها .

إنها المتهمة بقتله، وربما تقسم أنها بريئة من دمه، لكن البراءة
عنده تستوجب اللقاء بينهما، إنها قتلتها عبر حجابها، والأعين
الدامعة لا تزال ترميه وتعطبه، والصد يفقده توازنه . فالمحب
يتذكر الماضي حيث كانت تقبل عليه بعين البقرة الوحشية، وبعنق
الظبية الكاملة الصحة والحسن والجمال .

إن سحرها خلّاب، وأدوات سحرها مراثية لا يراها إلا العاشق
الولهان، إنها سحرته بشعرها النقي، وأسنانها الحسنة التنضيد،

وأنفها الجميل الذي يتشمم الرائحة الطيبة ، وهذا دليل ترف ونعمة عندها . وحديثها طيب وشذا . ويؤكد الفرزدق أنه لم يقع على مثل عينيها ، تفتتان الأكبد بين العرب والعجم . ويعود ليطلب منها أن تبيعه دمه وأن لا تدعه يهلك ، فالرحمة به هي حياة ، والركة منها تعني الطمانينة .

إنه إنسان مسلوب الإرادة ، مرتهن لتلك المرأة فسلم أمره لها . وهي لم تشفه ممّا هو فيه من ألم ومعاناة ، مع العلم بأنه لم يجرم بحقها . وبهذا الفعل من قبلها نحوه يحذرنا بأنها ستعاقب بالنار لأنها سفكت دمه دون أن يذنب ، وهذا الدم المسفوك سيكون عليها أثقل من الجبل . وبالرغم من الصد والهجر والبعاد ، والشكوى والألم والتحسر ، فإنه مصمم على اللقاء وإنه يحاول أن يتسلق إليها بسلم حتى ولو كانت في السماء العالية .

في هذه الصورة الغزلية التي عرضناها ألوان ، وأحاسيس ، عبّر عنها الفرزدق بكلمات جميلة سهلة . وقد جانبه التوفيق في الرسم والقول والتبيان وإيضاح هدفه . لكن التكرار في بعض المواقف أساء للصورة فبهت لونها ولم يمح الأثر النفسي الذي تركته في نفوسنا .

الرثاء عند الفرزدق :

لم تكن عاطفة الفرزدق في الرثاء أقل تصلباً منها في العزل . ففي كلا الموقفين لم يوفق . وذلك نتيجة لتربيته ونشأته ، ونفسيته

المبنية على العداوة ومقارعة الآخرين، مما جعله يبدع في الهجاء الفاحش والمشاكسة والخلاف بينه وبين فحول شعراء عصره، ويقصر عنهم في مواضيع الغزل والرثاء؛ لأن كلا الموضعين بحاجة إلى عاطفة جياشة، وإحساس مرهف، وذوق يتكامل مع النفسية، حتى يأتي الغزل والرثاء طرياً. وعلينا أن لا ننسى أن الفرزدق في كل ميوله ونزعاته النفسية هو ابن بادية صلبة قاسية، طبعت كلماته بقساوة حبة الرمل، وجفاء الصحراء وقسوتها.

فقد مات أبوه فرثاء، وكان رثاؤه إياه جافاً(*) :
نَعَمْ أَبُو الْأَصِيْفِ فِي الْمَحَلِّ غَالِبٌ
إِذَا لَبَسَ الْغَادِي يَسْدِيهِ مِنَ الْبَرْدِ^(١)
وَمَا كَانَ وَقَافاً عَلَى الضَّيْفِ مُحْجِماً
إِذَا جَاءَهُ يَوْمًا، وَلَا كَابِي الزَّنْدِ^(٢)
وَكَانَ إِذَا مَا أَصْدَرْتَهُ مَكَارِمُ
وَسَاوَرَ أُخْرَى غَيْرَ مُجْتَنِحِ الْوَرْدِ^(٣)

(*) الديوان - ج ١ ص ٢٣٥.

(١) يقول في رثاء والده غالب إنه أبو الأضياف لأنه كان يضمهم ويضمهم كالوالد في أيام المحل والفقر، وفي الزمن الذي يعم فيه الصقيع حيث يرتدي فيه المرء يديه أي أنه يضمهما تحت إبطيه من الصقيع.

(٢) المحجم: المرتد والمتكسر. كابي الزند: أي أن زنده لا يقدح ناراً.

(٣) أصدرته: من صدر عن الماء، عاد عنه، وأصلها في الإبل. ساور: واثب.

مجتنح: المجنوح أو المعاب. الورد: الإقبال على الماء.

يقول: إنه كان يأتي المكارم ويكاد لا ينتهي منها حتى يردها من جديد.

كما نلاحظ أنه يصف والده بأوصاف جميلة ولكنه لم يوفق بأسلوبه، حيث نحس ونشعر وكأنه ينحت المعاني نحتاً. فوالده كريم، سخي، لا يحجم عن مساعدة الناس، وإيوائهم وإطعامهم، وهو مثل للمكارم إذ لا ينتهي من مكرمة حتى يبدأ بأخرى.

ويقال انه لما قدم الشام بلغه موت عمر بن العزيز فقال (١):

إِنَّ الْأَرَامِلَ وَالْأَيْتَامَ قَدْ يَتَسَوَا
وَطَالِي الْعُرْفِ إِذْ لَاقَاهُمُ الْخَبْرُ^(١)
أَنَّ ابْنَ لَيْلَى بِأَرْضِ النِّيلِ أَدْرَكَهُ
وَهُمْ سِرَاعٌ إِلَى مَعْرُوفِهِ الْقَدَرُ^(٢)
لَمَّا انْتَهَوْا عِنْدَ بَابٍ كَانَ نَائِلُهُ
بِهِ كَثِيراً وَمَنْ مَعْرُوفُهُ فَجَرُ^(٣)
قَالُوا: دَفَنَّا ابْنَ لَيْلَى فَاسْتَهْلَ لَهُم
مِنَ الدَّمُوعِ عَلَى أَيْمَانِهَا دِرَرُ^(٤)
مِنْ أَعْيُنِ عِلْمَتْ أَنْ لَا حِجَازَ لَهُمْ
وَلَا طَعَامَ إِذَا مَا هَبَّتِ الْقِرَرُ^(٥)

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣١٨.

(١) يقول في رثاء عمر بن عبد العزيز إن الأرمال والأيتام يتسوا لموته، وطالبي الإحسان قنطوا حين وافاهم نعيه.

(٢) يقول إن الخليفة مات في مصر والأرمال واليتامى ساعون لطلب نواله.

(٣) الفجر: الجود والكرم.

(٤) أي انهمرت دموع طالبي الحسنة حينما أخبروا بموته ودرّت دون نضوب.

(٥) القرر: الرياح الباردة.

ظلوا على قبره يستغفرون له
 وقد يقولون تارات لنا العبر^(١)
 يُقبلون تراباً فوق أعظمه
 كما يُقبلُ في المحجوبة الحجر^(٢)
 لله أرضُ أجنته ضريحها
 وكيف يُدفنُ في الملحودة القمر^(٣)
 ويرثي محمد بن يوسف ومحمد بن الحجاج بن يوسف. وماتا
 في جمعة واحدة(*) :

لئن صَبَرَ الحجاجُ ما مِنْ مُصِيَّيةٍ
 تكون لِمَرُزُوءٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعًا^(٤)
 مِنْ الْمُصْطَفَى والمصطفى من ثقاته
 خَلِيلِيهِ إِذْ بَانَا جَمِيعًا فَوَدَّعَا^(٥)
 وَلَوْ رُزِثَتْ مِثْلِيهِمَا هَضْبَةُ الحِمَى
 لِأَصْبَحَ ما ذُوْتُ مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعًا^(٦)

(١) يقول انهم أقاموا على قبره يصلون ويستغفرون طلباً للرحمة له، وهم أنفسهم نكبوا بموته.

(٢) المحجوبة: مكة. الحجر: أي الحجر الأسود. أي انهم يقبلون ترابه كما يقبل الحجر الأسود في مكة.

(٣) يقول انهم دفنوا القمر في القبر وضوي قبره.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٥ - ٣٦ - ٣٧.

(٤) يقول إنه صابر على الرزية.

(٥) بانا: نأيا، ماتا.

(٦) يقول: ان رزءهما حري أن يحيل الهضبة بلقعا.

جناحا عتيق ما رَقَاهُ كِلَاهُمَا
 ولو كُبرَا من غيرِه لتضعُعا^(١)
 وكانا وكان الموتُ للناسِ نُهيَةً
 سِنَاناً وَسَيْفَا يَقْطُرُ السَّمُّ مُنْقَعَا^(٢)
 فَلَا يَوْمَ إِلَّا يَوْمَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ
 على النَّاسِ من يوميهما كان أفجعَا^(٣)
 وفضلاهُمَا مِمَّا يُعَدُّ كِلَاهُمَا
 على النَّاسِ من يوميهما كان أوسعَا^(٤)
 فلا صبرَ إِلَّا دُونَ صَبْرٍ على الذي
 رُزِئَتْ على يَوْمٍ من البأسِ أَشْنَعَا^(٥)
 على ابنك وابنِ الأمِّ إذ أدركتهما
 المنايا، وقد أَفْنَيْنَ عَادَاً وَتُبَّعَا^(٦)
 فَعَيْنِي ما الموتى سَوَاءٌ بُكَاهُمُ
 فبالدَّمِ، إِنْ أَنْزَفْتُمَا المَاءَ، فَأَدْمَعَا^(٧)

(١) العتيق: هو الحجاج.

(٢) النهيّة: الغاية.

(٣) يقول: إنه ليس أفجع من يوميهما إِلَّا يوم يموت أحد الخلفاء.

(٤) يقول: إن فضليهما هو أعظم ممّا فجع به الناس عليهما.

(٥) يقول: إن كل صبرٍ هو دون صبره.

(٦) يقول: إنه لا مثيل لصبره على أخيه وابنه وقد ألم بهما الموت المحتم الذي كان

قد أفنى عاداً وتبعاً منذ القدم.

(٧) يطلب من عينيه أن تسكبا الدم بدلاً من الدمع.

ولا لَكَمَا لَا تَبْكِيَانِ، وَقَدْ بَكَى
مِنَ الْخَزَنِ الْهَضْبُ الَّذِي قَدْ تَقَلَّعَا^(١)

في هذه اللوحة من الرثاء يوجه كلامه للحجاج بن يوسف، فيصفه بأنه صابر متصبر على الرزية والكارثة التي ألمت به، وهي موت اثنين من أعز الناس لديه، ابنه وحفيده. وكانت المصيبة قد وقعت في اسبوع واحد. فتصبر الحجاج وتعالى على الجراح، بالرغم أن هذا الحدث الفاجعة يبكي وبزعزع الهضاب، ويحيلها بلقعا. ولكن الحجاج بقي أقوى من الجبال ثابت الجنان، قوي الشكيمة، والفقيدان من الأبطال إذ كانا يقطران الموت في القتال كالسم الناقع. ويومهما فاجعة لا يعادلها بحزنها إلا يوم يموت أحد الخلفاء.

وبعد وصف هذه الفاجعة، وتصبر الحجاج، يطلب الفرزدق من عينيه أن تسكب الدم بدلاً من الدمع. ولكن عينيه لم تبكيا بالرغم من الهول الكبير الذي زلزل الأرض، وحرك الجبال.

ويرثي ابنين له فيقول^(*):

بِفِي الشَّامَتَيْنِ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ مَسْنِي
رَزِيَّةُ شَبْلِي مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ^(٢)

(١) يطلب من عينيه أن تبكيا من بكى عليهما الهضاب. وهو لا يبكي.

(*) الديوان - ج ١ - ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) بني: بغم. الرزية: المصيبة. المخدر: الأسد. الضراغام: الأسد.

هَزَبِرْ إِذَا أَشْبَاهَهُ سَرْنَ حَوْلَهُ
تَشَطَّتْ سَبَاعُ الْأَرْضِ مِنْ ذِي النَّحَائِمِ (١)
أَرَى كُلَّ حَيٍّ لَا يَزَالُ طَلِيعَةً
عَلَيْهِ الْمَنَايَا، مِنْ فُرُوجِ الْمَخَارِمِ (٢)
وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ
وَلَوْ عَاشَرَ أَيَّاماً طَوَّالاً بِسَالِمِ (٣)
فَلَسْتُ وَلَوْ شَقَّتْ حِيَازِيمَ نَفْسِهَا
مِنَ الْوَجْدِ بَعْدَ ابْنِي نَوَارِ بِلَائِمِ (٤)
عَلَى حَزَنِ بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعَا
لَهَا، وَالْمَنَايَا قَاطِعَاتُ التَّمَائِمِ (٥)
يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّمَكَانِ مَوْهِناً
إِذَا ارْتَفَعَا بَيْنَ النُّجُومِ النَّوَائِمِ (٦)
فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا مِنَ النَّاسِ فَاصْبِرِي
فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتُ حَنِينُ الْمَاءِ (٧)

(١) النحائم: الأصوات العالية التي يطلقها السبع أو الأسد.

(٢) المخارم: منافذ الجبال.

(٣) المنايا: جمع منية، هي الموت.

(٤) الحيازيم: جمع الحيزوم، مقدم الصدر.

(٥) التمام: التعاويد.

(٦) السماكان: نجمان. التوائم: المتألفة.

(٧) ابنك: الضمير عائد إلى زوجته نواره، وهي أم ولديه.

إنه رثاء تقريرى ، جاف ، بعيد عن العاطفة والوجد ، وحتى هذه المصائب والرزايا لم تحرك شعور الفرزدق . وتحمله على الإبداع في هذا المجال :

وجاء تصويره لهما خالٍ من الخيال والأحاسيس الملتهبة . فهما شبليين لأسد هصور ، قد ظن أن الناس شمتت به إثر الرزية ، ويدعو الشامتين لتقليم الصخور بأفواههم ؛ لأن الموت يدرك الجميع في لحظة لا يترقبها الإنسان . ولا خلاص لأي مخلوق من هذا المحتوم المقدر ، وبالرغم من الحدث الفاجعة الذي حلّ به وبزوجته نوار التي شقت صدرها ألماً على ولديها ، فإنه لن يتهالك ولن يتذمر . ويبدو هنا وكأنه يحمل في صدره جلمود صخر بدل قلب ينبض بالشعور والأحاسيس . ولكنه لن يلوم زوجته على ما تفعله إثر موت ولديها الواحد تلو الآخر ، ويذكرها بموت العظماء ، ويعزي زوجته بأن ابنيها كانا مثل الآخرين ، ولن يجديها البكاء والنحيب .

وحينما ماتت زوجته ، وكان يحبها ، لم يستطع رثاءها ، فبكتها النوادب بشعر لجريـر . وقيل له أن يزور قبرها فقال :

ولست وإن عزت عليّ بزائر
تُراباً على مرموسةٍ قد تضعضعا^(١)

(١) المرموسة : المدفونة في الرمس وهو القبر . تضعضع : انثر عليها وتبدد .

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ نالهُ
على المرءِ من أصحابه، مَنْ تَقَنَعَا^(١)

فكيف ترى برجل مثل الفرزدق، وترجو منه أن تلين عاطفته،
ويلتهب شعوره وتثور أحاسيسه، في مثل هكذا مواقف، وهو الذي
يعتبر ويرى أن المرأة أهون مفقود على الرجل!

الزهد عند الفرزدق:

نكون واهمين إذا وصفنا الفرزدق بالزهد، وجعلنا لشعره ميزة
من هذه الناحية. فالزهد في حقيقته لم يعرفه الشعر العربي إلا
في العصر العباسي، بصرف النظر عما نجد للإمام علي بن أبي طالب
من أقوال ثرية فيها من الزهد الكثير. لكن الفرزدق على ضعف
الخاصة الزهدية في شعره، هو أول شاعر إسلامي أخذ بأهداب
هذا الفن، فنظم قصيدة يهجو إبليس بها، ويتوب إلى ربه نادماً
على أعمال وفواحش قام بها. وهي وإن تكن لا تستوعب شروط
الشعر الزهدي من ذم الدنيا وملأها، وإيراد المواعظ والحكم
والأمثال، فإنها تمثل حالة الإقرار بالخطيئة، وتوبة إلى الله.
وخطاب للشيطان لم يسبقه إليه شاعر قبله.

إلا أن توبته تلك لم تكن صادقة، لأنه ارتد عنها بعد فترة.

(١) تقنع: لبس القناع. يقول: أهون فقير على المرء من أصحابه فقير يلبس القناع،
ويريد به المرأة. وقوله: إذا الموت ناله، أي نال المفقود.

ومعاصروه أنفسهم لم يتلقوها بالاطمئنان لما يعهدون فيه من
 فحش وفجور. فإن ابن سلام يحدثنا بأن الفرزدق أتى الحسن
 - الحسن البصري - فقال له: «إني قد هجوت إبليس فاسمع». قال:
 «لا حاجة لنا بما تقول». قال: «لتسمعن أو لأخرجن فأقول
 إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس» فقال الحسن «اسكت فإنك عن
 لسانه تنطق».

وهذه مقتطفات من القصيدة، وهي وحيدة في ديوانه الضخم
 بهذا المعنى.
 وفيها يقول(*):

إذا شئتُ حاجتني ديارُ مُحيلةٍ
 ومربدُ أفلاءٍ أمامَ خيام^(١)
 بحيثُ تَلأفَى الدَّوُّ والحمضُ حاجتا
 لعيني أغراباً ذواتِ سجام^(٢)
 ألم ترني عاهدتُ ربِّي، وإنني
 لَئِن رَتَّاجٍ قائمٌ ومَقَامٍ^(٣)

(*) الديوان - ج ٢ - ص ٤٠٥ - ٤٠٨.

(١) الديار المحيلة: الديار العافية. الأفلاء: جمع الفلأ أو ما إليه من صفات البهائم.

(٢) الدو: القفر. والحمض: نبات؛ وهما هنا موضعان. الأغراب: جمع الغرب
 مجرى الدمع من العين.

(٣) الرتاج والمقام: موضعان بمكة.

إلى أن ينتهي لمخاطبة إبليس :

أطعتك يا إبليس سبعين حجةً
فلما انتهى شيبي ، وتمّ تمامي^(١)
فررتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني
مُلاقٍ لأيام المنونِ جَمامي^(٢)
ولما دنا رأسُ التي كنتُ خائفاً
وكنتُ أرى فيها لقاءَ لِزامِ^(٣)
حلفتُ على نفسي لاجتهدَها
على حالها من صحة وسقام^(٤)
يظلُّ يُمنيّني على الرحل واركأ
يكونُ ورائي مرّةً وأمامي^(٥)
يُبشّرني أن لن أموتُ وأنه
سيخلدني في جنةٍ وسلام^(٦)
وما أنت يا إبليس بالمرءِ أبتغي
رضاهُ ولا يقتادني بزمام^(٧)

(١) الحجة : السنة .

(٢) المنون : الموت .

(٣) لقاء لِزام : الموت .

(٤) يقول إنه أقسم أن يجهد نفسه في حالتي المرض والعافية .

(٥) الوارك : المعتمد على وركه .

(٦) يقول : إنه كان يوهمه بأنه سينال من الدنيا السلامة والأمان الدائمين .

(٧) يقول : إنه لا يحفل به وإنه لا يخلّي له رسته .

سأجزيك من سؤات ما كنت سقتني
 إليه جروحاً فيك ذات كلام^(١)
 تُعِيرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَقِي
 عَلَيْكَ بِزُقُومٍ بِهَا وَضْرَامٍ^(٢)
 وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسَ وَإِبْلِيسَ الْبَنَّا
 لَهُمْ بَعْدَ النَّاسِ كُلِّ غَلَامٍ^(٣)
 هُمَا تَقْلَا فِي فِيٍّ مِنْ فَهْوَيْهِمَا
 عَلَى النَّابِجِ الْعَاوِي أَشَدُّ رَجَامٍ^(٤)

والملاحظ أنه يبدأ بنفسه، يسجل خطرات وجدانية، إذ أنه إذا
 أراد، فإنه يلم بالديار العافية ويقف عند مرتبط صغار البهائم عند
 الخيام، وإنه ذرف دمه الغزير في تلك المواضع، طلباً للمغفرة
 لأنه عاهد ربه على التقوى وإنه مقيم في مكة بين الرجاج والمقام
 وكأنه متنسك منقطع للعبادة فقط، بعد سبعين حجة قضاها في
 المشاكسة والخلافات بينه وبين الناس، وبدأ التوبة حينما أحس
 بالكبر والشيخوخة وحينما طالعه تبشير الموت، أو أحس بها.
 وهنا يقسم أن ينقطع للعبادة والتقوى، في حالتي المرض
 والعافية، بعدما قاد إبليس حياته فترة طويلة، وكان يحجب له متاع

(١) أي إنه سينكل إبليس ويديمه لقاء ما ضلله به.

(٢) تعيرها: تزنها. الزقوم: شجرة الجحيم. المضرام: النار المشتعلة.

(٣) يعني أن إبلياً وجماعته كانوا يسقون غلمان الناس ليسوقوهم إلى النار.

(٤) الرجام: الرمي بالحجارة.

الدنيا، ويوهمه بأنه غير ماثت وأنه سينال من هذه الدنيا الأمان والسلامة الدائمة. لكن الشاعر هنا كان قد أخذ الموقف، وقطع كل صلة بإبليس اللعين، وهو الآن لا يحفل به وإنه لا يخلي له رسنه، ويتركه على غاربه يضل النفس البشرية. خاصة أن إبليس وجماعته كانوا يغرون بالناس ويسقون غلمانهم الضلال وعدم الهداية ليسوقوهم إلى النار. ويتهمه بأنه هو أي إبليس وابنه سكباً في فمه الهجاء فجعل ينبج الناس ويعاويهم ويرجمهم بهجائه المقذع.

ومن صور التدين، وتذكر الآخرة هذه القصيدة القصيرة. ويروى «أن الحسن البصري حضر جنازة النوار امرأة الفرزدق. فقال الفرزدق: يا أبا سعيد حضر هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، أنت خيرهم وأنا شرهم، قال: فما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانين سنة، وأنشأ الفرزدق يقول(*):

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ دَارِمَ مَنْ مَشَى
إِلَى النَّارِ مَشْدُودَ الْخِنَاقَةِ أَرْزَقَا^(١)
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدُ
عَنيفٍ وَسَوَاقٍ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا^(٢)

(*) الديوان - ج ٢ - ص ١٣٨.

(١) خاب: فشل.

(٢) عنيف: قوي.

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي
 أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابِ وَأَضْيَقًا^(١)
 إِذَا شَرَبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ
 يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا^(٢)

إنها لحظة خوف من المجهول، من القادم، وهو الموت. إذ يقول إن الدارمين الذين يعدون إلى جهنم وهم موثقون، مشدود على خناقهم وهم زرق. إن هؤلاء لهم الخيبة. ويشير هنا إلى نفسه، لأنه يخشى نار الآخرة. ويصور نفسه وهو يساق ويُزجى يوم القيامة. وهو خائف من تلك اللحظة من أن يلاقي وراء القبر ما هو أشد ضيقاً منه، وأكثر باعثاً لحر العذاب. ويصور أهل النار وهم يشربون الصديد الذي يذوب من أجسامهم والقيح والدم فيتمزقون ألماً. وهذه الصورة، من الصور الشعرية الجيدة لدى الفرزدق.

نقد شعر الفرزدق:

الفرزدق أحد شعراء الثالوث الأموي، ممن طارت شهرتهم في عصرهم وحلقت بهم عبر الزمن حتى عصرنا هذا. وهو ابن بيثة نما فيها الشعر، وابن أصول له. ففي الشعر صولات وجولات. هو من دارم حاملة لواء الشعراء. والنسب متأصل في أعماق شعره وجذوره. وربما كان النسب رافداً ومعيناً له، خاصة النسبة إلى

(١) أشد: أقوى.

(٢) الصديد: القيح.

صعصعة جده «محيي المؤودات». وبهذه الكرمه يفخر الفرزدق، ونراه مفتوناً بها، ومفتوناً بمجده. أما الكرم فتلك صفة أبيه غالب. فغالب وصعصعة ودارم وتميم أصول ينمي إليها الفرزدق، وتناه فيها حماساً وتفوقاً. ويكاد الشاعر لا يفخر حتى يحضر عليه غالب وصعصعة، وأمجاد دارم ومن إليهم. والواقع أنّ من يقرأ ديوان الفرزدق يخرج منه بيقين، وهو أنه لم يكن يقر بالتفوق لأحد من الناس على قومه إلا النبي محمد ﷺ.

إلا أن الفرزدق وإن تمادى في حبه لأهله حتى العنجهية بالشعور المتكامل بين أنقاض الوجود وعاهات الحياة الكثيرة من فقر وإملاق، وتشرد ويتم، وترمل وافتقاد وتعسر الرزق. فإنه يميل في جانب آخر من شعره إلى تصوير الصورة السلبية ممن يراهم في موقع منخفض ومنحط في الحياة والوجود. وغالباً ما يكون هؤلاء أعداؤه، وأعداء قبيلته وذويه وعلى رأسهم الكلبيون، قوم جرير وبنو قيس الذين كان جرير يدافع عنهم. والصورة في هذا الموضع تهبط وتنقص وتتشوه لاتصالها الدائم الواقع الحسي. وتنبو عن الذوق، وتبعد عن الاستيعاب عندما يثور، ويقذف حممه الملتهبة في وجه أعدائه، لتصل إلى الغمائم المحقرة، والوقائع المذلة، مع إكثار ذكر الزواريب والخيم الواطئة، والأعتر، والضأن الحقيير، وعلب الحليب والتزجي على متون البعران، والتفرح على متونها، واتضاع اللبن من ضروعها. أضف إلى ذلك ذكر النباتات الهزيلة الضئيلة التي يسميها بأسمائها، ويرسم مواقعها

الحسية. وتكثر عنده الألفاظ النابية والفاحشة حيناً. وهنا لا تيسر له سبل الإبداع كما تيسرت له في خلق صور الملحمة العنترية، في مواقف العنجهية. فقد ظن أنه متحرر من قبضة الوجود، وتلك غلالة زاهية كان ينسجها. ولكن نسجه هذا أتى واهياً ووقع في النهاية في حباله. فقد كان يحس - في معظم شعره - أن نجاته تلك بذاته وبذويه، ولكنها لم تكن نجاة فعلية، بالرغم مما حاول دونها. إن التكامل والتحرر من عاهات الوجود، أوقعت الفرزدق ذاته في قبضتها، إذ لا مفر لمخلوق من رزية تحل به؛ فقد رزى الفرزدق كالآخرين، مات أولاده، فرثاهم، لكنه لم يبلغ المعاني الإنسانية للموت، ولا أدرك حقائق هي مسلمات، ولم يعط الفاجعة بعدها النفسي. وعندما خانه الشعور في هذا، وبقيت العاطفة جامدة متصلدة، تدارك الموقف وأخذ بجانب الفخر مؤكداً أن قناعته لم يذمها الموت ولم يجعله ضارِعاً ناكلاً. بل إنه ما زال يقف للأعداء، وهو مززع أن يصول ويجول في الميدان كما كان. وكان يسجن بسبب هجائه وفحشه فيه، فيمثل القيود، والندوب، والتقرحات، وحظه البائس، وخوفه، ورعبه في السجن، وهلع من الموت. وكان لسلطة لسانه يثير حفيظة الولاة، ويهدد ويرعد، ويلاحق في النهاية فيهرب، ويبقى زمناً هائماً طريداً، وهذا ما حصل له مع زياد ابن أبيه. وشعره في الهرب من وجه زياد كثير، ويقع في عشر قصائد، قد تكون أجمل شعر عنده لأنها ألصق بنفسه، وتعبر عن حقيقة شعوره ووجدانه،

ولأنه نزع فيها منزعاً إنسانياً يجعله قريباً منا . فيما كانت مفاخره تبعده عنا ، وتدعنا نحسب أنه يتكلم عن عالم شبه غريب ، وبعيد عنا ، عالم تتلاشى حدوده الزمنية والمكانية .

والفرزدق الذي تشيع بتعاليم الإسلام ، وله فيه كثير من لحظات النجوى والخوف والأمل ، فإنه لم يسلك طريقه الصحيح ، ونراه في كثير من مواقفه يحسن إلى عوالم الجاهلية ، يحيي ما فيها من تارات وآيات ، ويتغنى بأمجادها ويفعل أفعالها . فقصائده في رثاء أبيه ، والتي يزعم فيها أن والده الميت هو الوحيد الذي ينهض من قبره ، يطعم الأحياء قبل موتهم . وكان الفرزدق ينحر النياق على القبور على عادة الجاهليين ، وفعل هذا على قبر صديقه بشر بن مروان مذكي أوار الشعر في عصره . ذاك أن الفرزدق كان أعز في الجاهلية بقومه الأذنين وقبيلته ، وحين قامت الدولة الأموية أحس بالإحباط وأنه يكاد يكون تابعاً . وهو يأنف أن يكون كذلك .

التصوير عند الفرزدق :

ظهر لنا في تحليل شعر الفرزدق ، أهم الموضوعات التي أثارته عواطف الشاعر ، وعرضنا الأفكار التي تضمنتها قصائده في الموضوعات المختلفة التي طرق بابها . واتضح لنا من خلال القصائد والشروحات ، والتحليل ، أن الشاعر كان مجيداً في موضوعات الفخر والهجاء والمديح . وهذا معناه أن عاطفة الشاعر كانت متعلقة بهذه الموضوعات أكثر من غيرها . حتى

انعكست نفسيته بقوة في هجائه الفج، الصلب، وتوصل به حتى الفحش والإقذاع. وكان منه قوياً في هذا النوع من القول، مما يدل أن انفعاله بهذه المؤثرات كان صادقاً، نابعاً من حقيقة نفسه وحسه، فظهرت صورته مؤثرة ومثيرة، وكل ذلك ناتج عن بداوية تسربت إلى نفسه، وبقيت حتى ظهرت بهذا الشكل الذي أوردناه.

وإلى جانب القوة في الموضوعات السابقة، فإن الضعف واضح في الغزل والرثاء. وذلك معناه أن طبيعة الفرزدق كانت تميل إلى الموضوعات الأولى. ففيها استعداد قوي للتأثر بها، وإنها ترغب عن الموضوعات الثانية ولا تتفعل بها.

والمتتبع لشعر الفرزدق يجد أنه كان في تصويره يهتم بإبراز تاريخه وتاريخ أجداده، ويحط قدر المهجو. وإذا افتخر نجد ذلك التاريخ يلزمه، ويدفعه حتى يصل إلى الغلو. ويبرز هذا في النقائض الكثيرة بينه وبين جرير. وفي كل صورة في هذا المجال نجد العاطفة، والإحساس، ودوافع التاريخ والأجداد تسري بين طيات القصيدة حتى تغدو سجلاً للتاريخ لكثرة الأسماء والأماكن، وتعداد المفاخر المتأصلة في العرب من كرم، وضيافة وعلو كعب، وسمورفة. وكلها في آبائه وأجداده.

وإذا نظرنا في صورته الشعرية ومصادرها، نراها مأخوذة من التاريخ والأيام، ومن أحوال الإنسان والحيوان أيضاً. ومن مظاهر

البيئة المختلفة لذلك جاء شعره تعبيراً عن نفسه ، وتصويراً لأحوال عصره . وكثيراً ما نجد أن الشاعر استعمل المصدر الواحد في كثير من قصائده ؛ لأنّ نفسه معبأة بهذا التاريخ وذاك التراث . ويصل به حتى الجاهلية . أو تتغشى في شعره بعض مظاهرها . وكل هذه الصور كانت حسية واقعية .

أما الجانب النفسي في شعره ، كان الخصب فيه في الهجاء والفخر . وبلغ به التعالي في تصوير نفسه إلى أن يصبح أكبر من الخلفاء والولاة ، ومن الأمراء والعمال . ومديحه للإمام زين العابدين علي بن الحسين ، نموذج صادق عمّا تحمله نفسه ، من شعور صادق ، وعاطفة جياشة .

وبالرغم من جانب التوفيق الذي حالفه في الهجاء والفخر والمديح ، فإنّ العاطفة خانته في مواقف الغزل والنسيب والثناء . ولا حظنا هذا حتى في مغامراته مع الحبيبة ، إذ جاءت صورته حسية لا حركة فيها ولا حياة ، وكانت قصيدته أشبه إلى الثرية منها إلى الشعر الراقي . وغزله في حبيبته كان جافاً ، مخالفاً لطبيعة المحبين الولهين . أما رثاؤه فكان أبعد ما يمكن عن الفاجعة . إذ أن الحوادث المؤلمة لم تثر عاطفته ، مثل وفاة زوجته ، ووفاة أولاده . وقد أتينا على نماذج منها في تحليلك لشعر الفرزدق .

٢ - التعبير :

نعني بالتعبير هنا ، الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليرجم مشاعره

وانفعالاته وعواطفه في شتى النواحي التي تضمنها فنه. وهذه الترجمة يجب أن تكون معبرة عن شعوره، ونفسه، وتكامل حتى الوضوح والروعة.

والمعروف أن وسائل التعبير مختلفة، لكن وسيلة الأدب هي الألفاظ، والعبارات وما تتضمنه من المعاني والموسيقى، والمعاناة، والصدق. ويتوقف نجاح العملية الأدبية على مدى موهبة الأديب، ومقدرته على السيطرة على وسيلة التعبير والتصرف بها بدقة وإتقان للوصول إلى الغاية. والأدب مثل كل الفنون، له أوضاع، ولكل وضع فيه تعبير معين، ولكل تعبير لون خاص. وبعد التحليل، الذي استعرضناه يمكننا القول إن الفرزدق يمتلك زمام وسيلة التعبير الأدبي، حينما يكون المجال ملائماً لميوله، وطبيعته، ونجده يتعثر في مجالات أخرى. وهذين الاتجاهين يساعداننا على كشف نواحي شخصية الفرزدق ونفسيته. ومهما يكن فإن التعبير الفني عند الفرزدق يبين أن الشاعر كان يملك ثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات، وفاق على أقرانه، وشعراء زمانه في هذا المضمار.

وإن كان الفرزدق زاهياً بأمجاد قومه ومآثرهم، إلا أنه كان يحني رأسه للحاجة والضرورة. وتراه في شعره، ترك الكثير من الكبر والته، ومدح أبناء عبد الملك بن مروان. واستجدى وتوسل حتى يصل إلى مبتغاه. إنه صورة الشيء ونقيضه، يجمع في

طياته السلب والإيجاب، يعتو حتى يطيح الأرض تحت قدميه،
ويتضاءل أمام أبواب الأمراء والخلفاء هباءً متثوراً.

وبقي الفرزدق فترة بعيداً عن قصر الخلافة، حتى أنه كان
يظن أن الخلافة اغتصبت حقه وحق أجداده، وبقي هذا الشعور
يلاحقه في حالتي الوعي واللاوعي وربما كاد يحسب في بعض
الأيام أنه أفضل من الخلفاء والولاة والأمراء، لشعور النسب
القوي الذي يسري في دمه. وقد صرح في ذلك تصريحاً جهيراً،
حين استعاد معاوية ما كان أعطاه للحنات، أحد أعمام الفرزدق
بعد أن مات قبل أن يخرج من الشام يقول في ذلك:

أبوك وعمي يا معاوي أورثا
نراثاً، فأولى بالتراث أقاربهُ
فما بال ميراث الحنات أكلته
وميراثُ حرب جاحدٌ لك ذائبهُ
فلو كان هذا الحكم في جاهليةٍ
عرفت من المولى القليل حلائِبهُ
ولو كان هذا الأمر في غير مُلكِكُم
لأدَيْتُهُ أو غَصَّ بالماء شاربهُ
وما ولدت بعد النبي وأهليه
كمثلي حَصَانٌ في الرجال يقاربهُ
أبي غالب والمرء صعصعة الذي
إلى دارم ينمي، من ذا يُناسبهُ

وكم من أب لي يا معاوي لم يزل
أغرَّ يباري الريح ما ازوَدُ جانبُه
نَمَتْهُ فروعُ المالِكين ولم يكن
أبوك الذي في عبد شمس يخاطبُه

الديوان ص ٥٣ .

هذه الصورة الملحمية التي تعرضت لمعاوية، تغيرت صورتها حينما وصل الأمويون إلى الخلافة، وجلسوا تحت أبهة الجاه والتاج، ونظموا الدولة التي سيطرت على كل ما سلف من أمجاد. فما كان من الفرزدق أمام هذا الوضع الجديد، إلا إحناء الرأس، والوفود إلى الخلفاء لمدحهم.

ومن المؤكد أن الفرزدق كان فاسقاً ولكنه في الآن ذاته إيجابياً يؤمن بالقيم العليا كالفروسية ونبالة المحتد. وربما كان فسقه خروجاً عن الدين الذي آمن به دون أن تستكن نفسه له، لأنه أزال مجد تميم وأقام من دونها أمجاداً عفت على مجدها.

وللفرزدق قصائد سياسية تهب رياحها ولاء وجفاء. لقد امتدح الحجاج بن يوسف الثقفي وارتد عليه إثر موته. وهرب من زياد، وامتدح أبناءه وهجا قتيبة بن مسلم الباهلي حين ثار بخراسان على سليمان بن عبد الملك، وامتدح يزيد بن المهلب بعد أن كان هجا والده، ولما ثار يزيد على يزيد بن عبد الملك، فإنه هجاه وتغنى بهلال بن أحوز المازني التميمي، وأول من وفد إليهم من الخلفاء

كان سليمان بن عبد الملك . وكان الفرزدق يمدح عمال بني أمية ويهجوهم وفق ما تميل به الأهواء .

وحقيقة أدبية تقال بين الثالث الأُموي ، أن الأخطل تقدم الفرزدق في المدح وتقدمه جرير في الهجاء والغزل والرثاء . وتقدمهما الفرزدق في الفخر . وفضيلة الفرزدق في الشعر ، هي التي تتمثل في الخصب البدائي ، والفحولة في التعبير ، والجهيزة اللفظية .

لقد كان الفرزدق بطبيعته ميالاً إلى الشعر ، فأحبه وعاش في بيئته الطبيعية التي لقحته بالجميل من هذا الفن ، ولما اكتمل نموه ، وشبعت أحاسيسه من ذلك النبع فاضت أحاسيسه بالشعر ، ومثل عصره بكل نواحيه أفضل تمثيل ، وكان له الغريب من الكلام حتى اعتبر «نبغة الشعر» . واعتبره ابن داب : «أشعر عامة» .

وقد استغل العلماء والنقاد شعر الفرزدق ، فتتبعوه بالدراسة والتحليل ليستنبطوا منه ما يهم في مختلف الدراسات والعلوم اللغوية ، وأول ما يستوقفنا في شعره : الناحية البلاغية ومنها المحسنات :

١ - التشبيه : لم يرتق فيه إلي أترابه ، وأسلافه الجاهليين ، أمثال امرئ القيس مثلاً ، أو معاصريه كالأخطل وجرير ، فكان تشبيهه حسيّاً ، جاء من واقع الحياة التي تربى عليها . ومنه قوله في مدح الحجاج :

كَأَنَّ قُطَامِيًّا عَلَى الرَّحْلِ طَاوِيًّا
إِذَا غُمِرَ الظُّلُمَاءُ عَنْهُ تَجَلَبَّ

فشبه نفسه بالصقر على مطيته حين تنبج عنه الظلمة . وهذا
تشبيه جميل لما يدل على معاني القوة والصلابة .
ومن قوله أيضاً :

وظلماء تحت الأرض قَدْ خَضَتْ حَوْلَهَا
وَلَيْلُ كَلَوْنِ الطِّيلْسَانِي أَدْعَجَا .

إنه شبه الليل هنا بالطيلسان . ووجه الشبه هنا شدة الظلمة .
والصورة الغالبة على تشبيهه هو تشبيه شيء بشيء . ولم يرتق إلى
تشبيه ثلاثة بثلاثة أو أربعة بأربعة كما جاء في شعر امرئ القيس .
وقوله :

أَبَارَ بِكُمْ عَنْ وِينِهِ كُلِّ نَاكِثٍ
كَمَا الْأُمُّ الْأُولَى أَبِيرَتْ ثُمُودَهَا .

يقول إن الله أهلك بهم المشركين كما هلكت ثمود من قبل
ووجه التشبيه بين المعنيتين هو الهلاك والموت .
ومنه قوله :

بَرَى نُؤْيَهَا دَارَجَاتُ الرِّيحِ
كَمَا يُبْتَرَى الْجَفْنُ بِالْمَبْرَدِ .

ومعناه أن الرياح ألقت وأزالت حفير الخيام وبرته ، كما يبرى

غمد السيف بالمبرد . ومن تشبيهه الذي جاء في هجاء جرير قوله :

وَكَانَ جَرِيرٌ عَلَى قَوْمِهِ
كَبَكْرٍ تُمَوِّدُ لَهَا الْأُنْكَدِ

شبه هجاءه برغاء الناقة . والمعنى أنه حين هجاه - أي جرير -
- فكأنه رغا كما رغت تلك الناقة فأماهم وصاروا رماداً مثوراً .

ومن التشبيه الحسي قوله :

تَسَاقُطُ رِيشٌ غَادِيَةٌ وَغَادٍ
حَمَامِيٍّ قَفْصَةٌ وَقَعَا فَطَارَا

يقول إن أخفافها تبدو من دونها، وكأنها ريش حمامة وذكرها
وقعا وطارا، والتشبيه حسي دقيق . فالأخفاف المغيرة تشبه
الحمام ، ولكنها لا تثبت في مكانها وكأنها تقع وتطير .
ومن تشبيهه أيضاً :

كَأَنَّ اللَّيْلَ يَحْسِبُهُ عَلَيْنَا
ضَرَارٌ أَوْ يَكُرُّ إِلَيْنَا نُذُورٌ
كَأَنَّ نَجُومَهُ شَوْلُ ثُنَى
لَأَدْهَمَ فِي مَبَارِكْهَا عَقِيرٌ .

شبه النجوم هنا بالإبل الباردة .

الاستعارة :

عَسَى أَسَدٌ أَنْ يُطْلَقَ اللَّهُ لِي بِهِ
شَبَابًا خَلَقَ مُسْتَحْكَمٍ فَوْقَ أَسْوَاقِي

استعار كلمة أسد وجعلها مكان المخلص .

شفيت من الداء العراق فلم تدع
به ريبةً بُعدَ اصطفاٍ الزلازل

استعار كلمة الداء بدل الفوضى .

ومن الاستعارة الحسنة هذه الأبيات :

- وقائلة لي : ما فعلت إذا التقت
- وراءك أبواب المنايا القوائل؟
- سلوت عن الدهر الذي كان معجبا
- ومثل الذي قد كان من دهرنا يسلي
- هزبر إذا أشباله سرن حوله
- تشظت سباع الأرض من ذي النحائم
- فلنا أناسٌ نشترى بدمائنا
- ديار المنايا رغبةً في المكارم
- ملوك إذا طمت عليك بحورها
- تطحطحت في آذيتها المتصادم
- فإن تلتمسيني في غيم تلاقني
- برابية غلباء تعلو الروابيا

هذه أبيات تحتوي على استعارة محببة ، وقد ورد منها الكثير
الكثير في ديوان الفرزدق ، وهذه المحسنات ألست الكلام وشاحاً
جميلاً فأتى القول مصبوغاً بلون جديد من الجمال والألوان المحببة .

الطباق : ومن أمثلة الطباق ما ورد في قوله :

(١) وَإِنْ أَلْقَهَا أَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا
فَفِيهَا شِفَاءُ النَّفْسِ مِنِّي وَدَاوَهَا
فشفاء ودأوها كلمتا الطباق .

(٢) وَأَنْتَ سَمَاءُ اللَّهِ فِيهَا الَّتِي لَهُمْ
مِنْ الْأَرْضِ يُحْيِي مَيِّتَ الْأَرْضِ مَاوَهَا
الطباق هنا بين الفعل والاسم : يحيى - ميت .

(٤) فَإِنَّهُمْ الْأَحْلَافُ، وَالغَيْثُ، مَرَّةٌ
يَكُونُ بِشَرْقٍ مِنْ بِلَادٍ وَمِنْ غَرْبٍ
الطباق في هذا البيت بين اسمين : شرق وغرب .

(٤) أَمَّا الْعِرَاقُ فَقَدْ أَعْطَتْكَ طَاعَتَهَا
وَعَادَ يَغْمُرُ مِنْهَا كُلَّ تَخْرِيبٍ
الطباق بين الاسم والفعل : يعمر - تخريب .

(٥) فَانْقَضَ مِثْلَ عَتِيقِ الطَّيْرِ تَتْبَعُهُ
مَاعِرُ الْحَرْبِ مِنْ مُرْدٍ وَمِنْ شَيْبٍ
الطباق هنا بين اسمين : مرد - شيب .

(٦) وَلَيْسَ شَبَابٌ يَعْدُ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ
بَذَا الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرُّ حَالِيَهُ

الطباق بين اسمين : شباب وشيب .

(٧) فلا ما نأى منه من الشرّ نازحٌ
ولا ما دنا من الخير جالبٌ

الطباق بين : نأى ودنا - الشر والخير .

هذه نماذج بسيطة من الطباق الذي ورد في شعر الفرزدق .
وكان جيداً بحيث أنه أبرز المعنى ووضحه .

هذه بعض النماذج من المحسنات البلاغية التي وردت في ديوان الفرزدق . وهناك جناس ولكنه قليل جداً ونادر . ومعنى هذا أن الشاعر لم يكن صناعاً . بل جاءت هذه الألوان عفواً الخاطر ، ونتيجة لطبيعة النفس والطبع الذي كان يجيش في نفس الفرزدق . فكانت هذه المحسنات وغيرها من الألوان الجملة التي تلون به شعره . حتى غدت صورة الذات واضحة سلسلة ، بعيدة عن التكلف والصنعة .

نماذج من شعر الفرزدق

يمدح الحجاج بن يوسف بقوله (١):

رأيتُ نوارَ قَدْ جَعَلَتْ تَجَنَّى
وَتُكْثِرُ لي المِلامَةَ والعِتابَا (١)
وأُحَدِّثُ عَهْدٍ وَذِكِّ بالغِواني
إذا ما رَأْسُ طَالِبِهِنَّ شَابَا (٢)
فلا أَسْتَطِيعُ رَدَّ الشَّيْبِ عَنِّي
ولا أَرْجُو مِنَ الْكِبَرِ الشَّبَابَا (٣)
فليتِ الشَّيْبُ يَوْمَ غدا عَلَيْنَا
إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَانَ غَابَا (٤)

(*) الديوان - ج ١ - ص ١٣٧ وما بعدها.

(١) نوار: اسم زوجته. تجنى: أي تكثر من اللوم ظلماً.

(٢) يقول: إن الغواني قطعته حين شاب، وكان عهده بهن حديثاً.

(٣) يقول: إنه يطلب الشباب ولا يلقاه، وإن الشيب يقتحم عليه ولا قبل له بدفعه.

(٤) يتمنى لو نزع عنه الشيب أبد الدهر.

فَكَانَ أَحَبَّ مُنْتَظَرٍ إِلَيْنَا
وَأَبْغَضَ غَائِبٍ يُرْجَى إِيَابَا^(١)
فَلَمْ أَرَ كَالشَّبَابِ مَتَاعَ دُنْيَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ كِسْوَتِهِ ثِيَابَا^(٢)
وَلَوْ أَنَّ الشَّبَابَ يُذَابُ يَوْمًا
بِهِ حَجَرٌ مِنَ الْجَبَلِينَ، ذَابَا^(٣)
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ بَلَوْنَا
أُمُورَكَ كُلَّهَا رُشْدًا صَوَابَا^(٤)
تَعَلَّمَ إِنَّمَا الْحِجَااجُ سَيْفٌ
تُجَذُّ بِهِ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابَا^(٥)
هُوَ السَيْفُ الَّذِي نَصَرَ ابْنَ أَرْوَى
بِهِ مَرْوَانَ عَثْمَانَ الْمَصَابَا^(٦)

(١) يقول إنه لو أنه ينتظر ولا يفد بكان أحب منتظر، ويكون في الآن ذاته أكره غائب يخشى قدومه.

(٢) يعني أن الشباب هو أفضل المهود، وأن ثوبه هو الثوب الحسن.

(٣) يقول إنه من حميته وقدرته كان حرياً أن يذيب الحجارة.

(٤) يقول: انهم خبروا منه الأمور التي تجري على العدل والصواب.

(٥) يخاطب الخليفة، ويمتدح واليه الحجاج، ويقول إنه سيف تقطع به رقاب الملحدين والشذاذ والمشاغبين.

(٦) ابن أروى: هو عثمان وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة.

إِذَا ذَكَرْتَ عُيُونَهُمْ ابْنَ أَرْوَى
 وَيَوْمَ الدَّارِ أَشْهَلْتَ انْبِكَابَا^(١)
 عَشِيَّةَ يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ
 عَلَى مُتَوَكِّلٍ وَفِي، وَطَابَا^(٢)
 خَلِيلٍ مُحَمَّدٍ، وَإِمَامٍ حَقُّ
 وَرَابِعٍ خَيْرٍ مَنَ وَطِيءِ التُّرَابَا^(٣)
 فَلَيْسَ بِذَابِلٍ لِلْحَرْبِ مِنْهُمْ
 شِهَابٌ، يُطْفِئُونَ بِهِ شِهَابَا^(٤)
 بِهِ تُبْنَى مَكَارِمُهُمْ وَتُمْرَى
 إِذَا مَا كَانَ دِرْتُهَا اغْتِصَابَا^(٥)
 وَخَاضِبٍ لِحَبِيبَةٍ غَدَرَتْ وَخَانَتْ
 جَعَلَتْ لِشَيْبِهَا دَمَهُ خِضَابَا^(٦)

(١) يوم الدار: يوم قتل عثمان، وهو يقرأ المصحف الكريم.

يقول إنهم حين يذكرون ما حل بعثمان فإن دموعهم تنهمر غاية الانهمار.

(٢) يقول إنه كان يفتح أبوابه لكل الناس وبلا استئذان، غير مستأثر بالسلطة ولا متعسف بها كما زعم قائلوه.

(٣) يقول: إنه رفيق محمد ورابع الخلفاء الراشدين، بل إنه ثالثهم، وحين قال الرابع إنما أشار إلى النبي محمد ﷺ.

(٤) يقول إنهم بوقدون نار الحرب ويخمدون به الثورات.

(٥) تمرى: يمسح ضرعها لتدر، اعتصاباً: أي يعصب ساقها لتندر.

(٦) يقول إنه يفتك بمن يخرج عن الدين ولو كان شيخاً هرمًا، وإنهم يصيغون شيبه بالدم.

وَمَلْحَمَةٍ شَهِدْتَ لِيَوْمِ بَاسٍ
 تَزِيدُ الْمَرْءَ لِلْأَجْلِ اقْتِرَابًا^(١)
 تَرَى الْقَلْعِيَّ وَالْمَآذِيَّ فِيهَا
 عَلَى الْأَبْطَالِ يَلْتَهُبُ التَّهَابَا^(٢)
 شَذَخْتَ رُؤُوسَ فَتِيئِهَا فَذَاخَتْ
 وَأَبْصَرَ مَنْ تَرَبَّصَهَا فِتْيَابَا^(٣)
 رَأَيْتَكَ جِئْتَ تَغْتَرِّكُ الْمَنَابَا
 إِذَا الْمَرْغُوبُ لِلْغَمْرَاتِ هَابَا^(٤)
 وَأَذْلَقَهُ النَّفَاقُ وَكَادَ مِنْهُ
 وَجِيبُ الْقَلْبِ يَتَنَزَّعُ الْحِجَابَا^(٥)
 تَهَوَّنَ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهُوَ أَدْنَى
 لِنَفْسِكَ عِنْدَ خَالِقِهَا ثَوَابَا^(٦)
 فَمَنْ يُمَيِّنْ عَلَيْكَ النَّصْرَ يَكْذِبُ
 سِوَى اللَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّحَابَا^(٧)

(١) يقول إنه يقاتل ويذني الموت لمن قاتله .

(٢) يقول إن الدماء والدموع تلتصق على الأبطال وتلتصق .

(٣) أي انه يفتك بالثائرين ويذعر من يترقبون نتيجة القتال .

(٤) الغمرات : ساحات القتال .

(٥) الحجاب : غلاف القلب .

يقول إن من يضعفه النفاق ، وكاد يمزق حجاب قلبه من وجيبه .

(٦) يقول إنه يقتحم عليه القتال في سبيل الله .

(٧) أي أن نصره يأتيه من الله لأنه يستوحي إرادته منه ، وليس من الناس ، ولا مئة لهم عليه .

تَفَرَّدَ بِالْبَلَاءِ عَلَيْكَ رَبُّ
 إِذَا نَادَاهُ مُخْتَشِعٌ أَجَابَا^(١)
 وَلَوْ أَنَّ الَّذِي كَشَفْتَ عَنْهُمْ
 مِنَ الْفِتَنِ الْبَلِيَّةَ وَالْعَذَابَا^(٢)
 جَزَوْكَ بِهَا نَفُوسَهُمْ وَزَادُوا
 لَكَ الْأَمْوَالَ مَا بَلَّغُوا الثَّوَابَا^(٣)
 فَإِنِّي وَالَّذِي نَحَرْتُ قَرِيشُ
 : لَهُ يَمْنَى، وَأَضْمَرْتُ الرِّكَابَا^(٤)
 إِلَيْهِ مُلَبِّدِينَ وَمَنْ خُوصُ
 لِيَسْتَلْمُوا الْأَوَاسِي وَالْحِجَابَا^(٥)
 لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلِيٌّ فَضْلُ
 كَفَضْلِ الْغَيْثِ يَنْفَعُ مِنْ أَصَابَا^(٦)
 عَلِيٌّ رَأَيْتُ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ
 وَرَأَيْتُ مِنْكَ أَظْفَاراً وَنَابَا^(٧)

(١) يقول إن الله يؤتيك البلاء ليختبرك فتبوء بها وتقف لها .

(٢) - (٣) يقول : إنه رفع عنهم الفتن وأخمدها ، ولو أنهم وهبوه نفوسهم من دونها لما أثابوه حقها .

(٤) منى : جبل بمكة .

(٥) ملبدين : من عادة الحجاج أن يلبدوا شعورهم بالصمغ . الخوص : الفائز والاحداق . الأواسي : جمع الأسية ، الناء المحكم . الحجاب : أي أستر الكعبة .

(٦) يقول إنه أفضل عليه كالغيث الذي يذهب بالهط .

(٧) يقول : إنه لو كان بأقصى الأمكنة ، ولو إنه تحجب بكل حجاب وأوصد كل باب =

فَعَفْوُكَ بِأَبْنِ يَوْسُفَ خَيْرُ عَفْوٍ
وَأَنْتَ أَشَدُّ مُنْتَقِمٍ عِقَابًا^(١)
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ خَافُوكَ حَتَّى
خَشَوْا بِمِثْلِكَ أَوْ فَرَقُوا الْحَسَابَ^(٢)
يَمْدَحُ نَصْرَ بَنِ سِيَارَ^(*):

كَيْفَ نَخَافُ الْفَقْرَ يَا طَيْبَ بَعْدَمَا
أَتَيْنَا بِنَصْرِ مِنْ هَرَاةٍ مَقَادِرُهُ^(٣)
وَإِنْ بَاتْنَا نَصْرُ مِنَ التُّرْكِ سَالِمًا
فَمَا بَعْدَ نَصْرِ غَائِبٍ أَنَا نَاطِرُهُ^(٤)
تَنَظَّرْتُ نَصْرًا وَالسَّمَائِينَ أَتَهُمَا
عَلَيَّ مِنَ الْغَيْبِ اسْتَهْلَتْ مُوَاطِرُهُ^(٥)
مَضَى كَمَضَى السَّيْفِ فِي كَفِّ حَازِمٍ
عَلَى الْأَمْرِ إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَصَادِرُهُ^(٦)

= لأدركه وناله بأظفاره وأنياه ، أي انه ينال كل من يريد ولا ينجو من طلبه أحد .

(١) يقول : إنه يعفو ويتقم ، وعفوه خير عفو ، وانتقامه هو أشد انتقام .

(٢) أي انهم يخافون أن يموتوا ويتركوا يوم الحساب عاجلاً .

(*) الديوان ج ١ - ص ٤٦٢ وما بعدها .

(٣) طيب : مرخم طيبة . هراة : مدينة بخراسان .

(٤) يقول : إنه إذا ما نجا من قتال الترك ، فإنه لن يرجو أحداً دونه إثر ذلك .

(٥) يقول : إنه ترقبه وهو لا يعلم أيهما أغزر مطراً : الممدوح أم نجما السماكين
وهما من نجوم المطر الغزير .

(٦) يقول إنهم ضاقت عليهم سبل الأمور فمضى إليها بحزمه ، وعزمه كالسيف
العادي .

إِذَا مَا أَبَى نَصْرُ أَبَتْ خِنْدِفٌ لَهُ
 وَقَدْ عَزَّ مِنْ نَصْرٍ إِذَا خَافَ، نَاصِرُهُ (١)
 إِذَا مَا ابْنُ سَيَّارٍ دَعَا خِنْدِفَ الَّتِي
 لَهَا مِنْ أَعَزِّ الْمُشْرِفِينَ قَسَاوِرُهُ (٢)
 أَتَتْهُ عَلَى الْجَرْدِ الْهَذَا لِيلِ فَوْقَهَا
 دُرُوعٌ سُلَيْمَانُ لَهَا، وَمَغَافِرُهُ (٣)
 أَرَى النَّاسَ مِنَّا رَبَّهُمْ حِينَ تَلْتَقِي
 إِلَى زَمْزَمٍ رُكْبَانُ نَجْدٍ وَغَائِرُهُ (٤)
 لَنَا كُلُّ بَطْرِيْقٍ إِذَا قَامَ لَمْ يَقُمْ
 مِنَ النَّاسِ، إِلَّا قَائِمٌ هُوَ أَمْرُهُ (٥)
 هُوَ الْمَالِكُ الْمَهْدِيُّ السَّابِقُ الَّذِي
 لَهُ أَوَّلُ الْمَجْدِ التَّلِيدِ وَآخِرُهُ (٦)
 تَنْظَرْتُ نَصْرًا أَنْ يَجِيءَ، وَإِنْ يَجِيءُ
 فَإِنِّي كَمَنْ قَدْ مَرَّ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ (٧)

(١) يقول إنه الخندفين يقفون إلى جنبه، ومن ينصره الممدوح فهو المنتصر والمنصور.

(٢) القصور: الشجاع وأصلها في الأسد.

(٣) الهدلول: الفرس الطويل. سليمان: رجل شهر بصنع الدروع. المغفر: زرد يليسه المغافل تحت القلنسوة.

(٤) يقول إن النبي منهم، بل إنهم أصحاب الدين الذي يحج الناس في سبيله.

(٥) البطريق: الرجل الجليل المقدم.

(٦) يقول إنه مملك بالهدى، وإنه متقدم بكل مجد قديم وجديد.

(٧) يقول: إنه يرقب عودته وهو حين يراه وقد عاد كمن أقبل عليه الخير، وطارت له الطير باليمن حين تزجر.

رَجَوْتُ نَدَى نَضْرٍ، ودُونَ يَمِينِهِ
 فَرَاتَانِ، وَالطَّافِي يَبْلُغُ قَرَارِقُرَةَ^(١)
 فَأَصْبَحْتُ أُعْطِي النَّاسَ لِلْخَيْرِ وَالْقَرَى
 عَلَيْهِ لِأَضْيَافٍ، وَجَارٍ يُجَاوِرُهُ^(٢)
 أَلَمْ تَرَ مَنْ يَخْتَارُ نَصْرًا جَرَتْ لَهُ
 بِسَعْدِ السُّعُودِ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ طَائِرُهُ^(٣)
 لَهُ رَاحَتَا كَفَيْنِ فِي رَاحَتَيْهِمَا
 مِنَ الْبَحْرِ فَيْضٌ لَا يُنْهِنُهُ زَاخِرُهُ^(٤)
 أَلَمْ تَرَ نَصْرًا يَضْمَنُ الطَّعْنَ وَالْقَرَى
 إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ أَوْ زَوَى السَّرْحُ ذَاغِرُهُ^(٥)
 وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا فِي السَّمَاءِ وَعِنْدَهَا
 تَنَاولَهُ نَضْرٌ إِلَيْهِ يَسَاوِرُهُ^(٦)

(١) الطافي يبلغ: نهرا، وهي في خراسان. الفراق: السفن النهرية.
 (٢) يقول إنه وهه الممدوح بكثرة حتى بات الناس ينتجعونه بدوره وبات يهب
 الضيوف ويجبرهم.

(٣) يكرر معنى السعد والطائر الميمون.

(٤) يكرر وصف كرمه على البحر الزاخر الفياض.

(٥) القرى: الضيافة. زوى: نحى. السرح: الماشية. ذاعره: مفرغه.

(٦) يقول إنه يطلب المجد حتى في السماء النائية.

هذه إحدى نقائضه (*) :

- عفى المَنَازِلَ، آخِرَ الأيامِ
(١) قَطْرُ، وَمُورٌ وَاخْتِلَافٌ نَعَامِ
قال ابنُ صائِغَةِ الزُّرُوبِ لِقَوْمِهِ
(٢) لا أَسْتَطِيعُ رَوَاسِي الأَعْلَامِ
نَقَلْتُ عَلَيَّ عَمَائَتَانِ، وَلَمْ أَجِدْ
(٣) سَبَباً يُحَوِّلُ لِي جِبَالَ شَمَامِ
قَالَتْ تُجَاوِبُهُ المَرَاغَةُ أُمُّهُ
(٤) قَدْ رُمْتُ، وَيَلِي أَيْكَ، كُلُّ مَرَامِ
فَاسَكْتُ فَإِنَّكَ قَدْ غُلِبْتَ فَلَمْ تَجِدْ
(٥) لَلْقَاصِعَاءِ مَآثِرَ الأَيَّامِ
وَوَجَدْتُ قَوْمَكَ فَقَّأُوا مِنْ لُؤْمِهِمْ
(٦) عَيْنِيكَ، عِنْدَ مَكَارِمِ الأَقْوَامِ

(*) الديوان - ج ٢ ص ٥٥٤ وما بعدها .

(١) المور: التراب تثيره الريح .

(٢) الزُّرُوب: زرائب البهائم . الأعلام: رؤوس الجبال .

(٣) يقول على لسان خصمه جرير إنه لم يَفُزْ على اجتياز جبلي عماية ولا جبل شمام .

(٤) المَرَاغَةُ: المتعرجة بالتراب . رمْتُ: تماديت وشطيت .

(٥) القاصعاء: من جحور اليربوع .

(٦) يقول إنَّ ذلَّ قومه فقَّأ عينيه .

- صَغُرْتُ دِلَاؤُهُمْ فَمَا مَلَأُوا بِهَا
 حَوْضاً، وَلَا شَهِدُوا عِرَاكَ زَحَامٍ^(١)
 لَأَرَدَاكَ حَيْنُكَ إِذْ تَعَارَضَ دَارِماً
 بِأِدْقَةٍ مُتَأَشِّبِينَ لِثَامٍ^(٢)
 وَحَسِبْتَ بَخْرَ بَنِي كُلَيْبٍ مُصْذِراً
 فَفَرَقْتَ حِينَ وَقَعْتَ فِي الْقَمَقَامِ^(٣)
 فِي حَوْمَةٍ غَمَرْتَ أَسَاكَ بِحُورِهَا
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ، وَالْإِسْلَامِ^(٤)
 إِنَّ الْأَقَارِعَ وَالْحُتَاتَ وَغَالِبَا
 وَأَبَا هَنِيدَةَ دَافَعُوا لِمَقَامِي^(٥)
 بِمَنَاكِبٍ سَبَقَتْ أَسَاكَ صُدُورُهَا
 وَمَآثِرٍ لِمَتَّوَجِّينِ كِرَامٍ^(٦)
 إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي بَنِي لِي بَيْتَهُ
 فِي ذَوْحَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْحُكَّامِ^(٧)

(١) صغر الدلاء: هنا كناية عن الذل.

(٢) يقول: إنك تنافس قومي بقومك الرقاق الهزالي المتأشبين أي المختلطين دون أصل.

(٣) القمقام: البحر. مصدراً: يشرب منه ويرتوي منه.

(٤) يقول: إنه نزل في حومة قديمة ففرق أبوك في غمرة البحر.

(٥) يفخر بمن إليه.

(٦) يفخر بقومه الملوك الأقوياء.

(٧) يقول إنه نما في المعالي.

مِنْ كُلِّ أبيضَ فِي ذُوَابَةِ دَارِهِ
 مَلِكٍ إِلَى نَصْدِ الْمُلُوكِ هَمَامٍ (١)
 فَاسْأَلْ بِنَا وَبِكُمْ إِذَا لَاقَيْتُمْ
 جِشَمَ الْأَرَاقِمِ، أَوْ بَنِي هَمَامٍ (٢)
 مَنَا الَّذِي جَمَعَ الْمُلُوكَ وَبَيْنَهُمْ
 حَرْبٌ يَشْبُ سَعِيرُهَا بِضَرَامٍ (٣)
 وَأَبِي ابْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ لَيْلَى غَالِبٌ
 غَلَبَ الْمُلُوكَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي (٤)
 خَالِي الَّذِي تَرَكَ النَجِيعَ بِرُمُجِهِ
 يَوْمَ النَّقَا شَرِيقاً عَلَى بِسْطَامٍ (٥)
 وَالْخَيْلُ تَنْحَطُّ بِالْكُمَاةِ تَرَى لَهَا
 رَهْجاً بِكُلِّ مُجَرَّبٍ مِقْدَامٍ (٦)
 وَالْحَوْفَزَانُ تَذَارَكْتُهُ غَارَةً
 مَنَا، بِأَسْفَلِ أَوْدٍ ذِي الْأَرَامِ (٧)

(١) الذُّوَابَةُ: مقدمة شعر الرأس. نَصْدٌ: سرير الملك.

(٢) يَحْتَكُمُ فِي مَنَافَسَتِهِ لِلْآخَرِينَ.

(٣) يَقُولُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُولُفُونَ بَيْنَ الْمُلُوكِ.

(٤) صَعْصَعَةُ: جده.

(٥) يَفْخَرُ بِخَالِهِ الَّذِي قَتَلَ بِسْطَاماً.

(٦) يَقُولُ إِنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ مُسْتَمِرَّةً وَفِيهَا الْأَبْطَالُ.

(٧) الْأَرَامُ: الطُّبَاءُ.

- متجردين على الجياد عشيّة
 (١) عَصَباً مُجْلَحَةً بدار ظلام
 وترى عطية ضارباً بفنائسه
 (٢) رَبِيقَيْنِ بَيْنَ خَطَائِرِ الْأَغْنَامِ
 مُتَقَلِّدَا لِأَبِيهِ كَانَتْ عِنْدَهُ
 (٣) أَرْبَاقُ صَاحِبِ ثَلَّةٍ وَبِهَامِ
 مَا مَسَّ مُذْ وَلَدَتْ عَطِيَّةً أُمُّهُ
 (٤) كَفَا عَطِيَّةً مِنْ عِنَانِ لِحَامِ
 يهجو يزيد بن مسعود بن خالد . فيقول (*) :
 تَمَنَّى ابْنُ مَسْعُودٍ لِقَائِي سَفَاهَةً
 لَقَدْ قَالَ حِينَا يَوْمَ ذَاكَ وَمُنْكَرَا (٥)
 مَتَى تَلْقَ مِنَّا عُصْبَةً يَا ابْنَ خَالِدٍ
 رِبِيئَةَ جَيْشٍ أَوْ يَقُودُونَ مِنْسَرَا (٦)
 تَكُنْ هَذِرًا إِنْ أَدْرَكْتُكَ رِمَاحُنَا
 وَتُتْرَكَ فِي غَمِّ الْغُبَارِ مُقَطَّرَا (٧)

(١) المجلحة : المقدمة .

(٢) عطية : والد جرير . الربيق : رسن الغنم والماعر .

(٣) الثلة : قطعة من الماشية . بهام : البهائم .

(٤) يقول إنه ما مسّ منذ ولادته لحام الخيل ، أي أنه لم يكن فارساً قط .

(*) الديوان - ج ١ ص ٣٢٩ وما بعدها .

(٥) السفاهة : خفة العقل والميل إلى الشر . الحين : هنا الزور .

(٦) ربيعة الجيش : القطعة المقدمة في طليعته . المنسر : قطعة الخيل .

(٧) غم الغبار : شدته . مقطر : مصروع .

مَنَنْتُ لَكَ مِنَّا أَنْ تُلَاقِيَ عُصْبَةً
 جِمَامُ مَنَابَا قُذْنٌ حِينَا مُقَدَّرَا (١)
 عَلَى أَعُوجِيَّاتٍ، كَأَنَّ صُدُورَهَا
 قَنَّا سِجْجَانِ مَآوُهُ قَدْ تَحَسَّرَا (٢)
 ذَوَابِلُ تُبْرَى حَوْلَهَا لِفُحُولِهَا
 تَرَاهُنَّ مِنْ قَوْدِ الْمُقَابِلِ ضُمَّرَا (٣)
 إِذَا سَمِعَتْ قَرْعَ الْمَسَاجِلِ نَازَعَتْ
 أَيَا مِنْهُمْ شَزْرًا مِنَ الْقَيْدِ أَيْسَرَا (٤)
 يَذُودُ شِدَادُ الْقَوْمِ بَيْنَ فُحُولِهَا
 بِأَشْطَانِهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ تُكْسَرَا (٥)
 وَكُلُّ قَتَى عَارِي الْأَشَاجِعِ لَاحَهُ
 سَمُومُ الثَّرَيَا لَوْنُهُ قَدْ تَغَيَّرَا (٦)

(١) مَنَنْتُ لَكَ: أي قدر لك. . الحين: الموت.

(٢) الأعوجيات: الخيول المنسوبة إلى أعوج وهو فعل مشهور. سيججان: شجر.
تحسر: انحبس وحسر.

(٣) الذوابل: النياق أو الخيل المنحنية الأعناق. تبرى: تذوب من شدة الرغبة.
الحول: جمع الحائل، الناقة لم تلحق. المقاب: جمع المقب: قطعة من
الخيول.

(٤) المساحل: جمع المسحل، حديد اللجام، الشزر من القيد: اللجام من الجلد
المفتول.

(٥) يذود: يمنع ويدفع. الأشطان: جمع الشطن، الحبل.

(٦) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وهي « نرة
الفروسية. لاحه: لوحه وغيره. السموم: الريح الحارة.

عَلَى كُلِّ مَذْعَانٍ السُّرَى رَادِيَّةٍ
 يَقُودُ وَأَيَّ غَمَرِ الْجَرَاءِ مُصَدِّرًا ^(١)
 شَدِيدَ ذُنُوبِ الْبَتْنِ مُتَغَمِّسِ النِّسَاءِ
 إِذَا مَا تَلَقَّتْهُ الْجَرَائِمُ أَخْضَرًا ^(٢)
 وَكَمْ مِنْ رَيْسٍ غَادَرَتْهُ رِمَاحُنَا
 يُمَجِّجُ نَجِيعًا مِنْ دَمِ الْجُوفِ أَحْمَرًا ^(٣)
 وَنَحْنُ صَبَحْنَا الْحَيَّ يَوْمَ قَرَأَقِرِ
 خَمِيسًا كَأَرْكَانِ الْيَمَامَةِ مَذْسَرًا ^(٤)
 وَنَحْنُ أَجَزْنَا يَوْمَ حَزَنِ ضَرِيَّةٍ
 وَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ عَيْنَيْنِ مِنْقَرًا ^(٥)
 وَنَحْنُ حَدَرْنَا طَيْئًا عَنْ جِبَالِهَا
 وَنَحْنُ حَدَرْنَا عَنْ ذُرَى الْغُورِ جَعْفَرًا ^(٦)

-
- (١) المذعان: المطيع والمنساق. السرى: السير ليلاً. الوأي: السريع من الدواب. غمر الجراء: السريع العدو.
 (٢) الذنوب: لحم الظهر. النساء: عرق من الورك إلى الكعب. الجرائم: الأتربة المجتمعمة والمتعالية. أخضر: أسرع.
 (٣) يمجج: يقذف ويبعث. النجيع: الدم.
 (٤) يوم قراقر: يوم ذي قار قرب الكوفة. المذسر: من دسر، طعن.
 (٥) يوم حزن ضرية ويوم عنان: من الأيام التي يفاخرون بها.
 (٦) يقول: إنهم جعلوا طيئاً تنزع من أمكتها التي لها في جبالها الحصينة، وهم الذين جعلوا جعفرًا ينزعج عن مقامه في ذرى الغور أي أنهم قادرون أن يتصرفوا بمصائر الناس. وأن يحتلوا عليهم حمامهم.

بِأَرَعْنَ جَرَارٍ تَضِيءُ لَهُ الصُّوَى
 إِذَا مَا اغْتَدَى مِنْ مَنْزِلٍ أَوْ تَهَجَّرَا ^(١)
 لَهُ كَوَكَبٌ إِذَا ذَرَبَ الشَّمْسُ وَاضِحٌ
 تَرَى فِيهِ مَنَا دَارِعِينَ وَحَسْرًا ^(٢)
 أَبِي يَوْمَ جَاءَتْ فَارَسَ بِجُنُودِهَا
 عَلَى حَمَضَى رَدَّ التَّرْيِيسَ الْمَشُورَا ^(٣)
 غَدَا وَمَسَاحِي الْخَيْلِ تَقْرَعُ بَيْنَهَا
 وَلَمْ يَكُ فِي يَوْمِ الْحِفَاطِ مُغْمَرَا ^(٤)
 كَأَنَّ جَذْوَعَ النَّخْلِ لَمَّا غَشِيَنَّهُ
 سَوَابِقُهَا مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ وَأَشْقَرَا ^(٥)
 يَرْتِي الْجِرَاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِي، وَاسْتَشْهَد بِأَذْرَبِيحَانَ قَتْلَهُ
 الْخَزَرَ ^(٦):

وَقَائِمَةٌ قَامَتْ، فَقَالَتْ لِنَائِحٍ
 تَفِيضُ بِعَيْنَيْهِ الدَّمُوعُ السَّوَاجِمُ ^(٦)

- (١) الأرعن: الجيش الكثير. الجرار: الجيش له صفوف طويلة. الصوى: جمع صوة وهي حجارة تكون دليلاً على الطرقات للعابرين. اغتدى: ذهب صباحاً. تهجر: سار في الهاجرة.
- (٢) يكمل وصف الجيش ويقول إنه يلتمع تحت الشمس كالنواكب من كثرة السلاح، جنوده منهم من يرتدي الدروع ومنهم من يقاتل حاسراً بلا درع.
- (٣) يقول إنهم قاتلوا الفرس في يوم ذي قار وقتلوا رئيسهم الرأس عليهم.
- (٤) مساحي الخيل: لجمها. المغمر: من يلج في غمرات القتال.
- (٥) غشيه: ستره. الورد: من الخيل ما كان أحمر أصفر.
- (٦) الديوان - ج ٢ - ص ٤٦٨.
- (٦) السواجم: المنهمة.

لَقَدْ ضَبَرَ الْجَرَّاحُ حَتَّى مَثَتْ بِهِ
إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ السِّيفُ الصَّوَارِمُ^(١)
فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ مُحَمَّدٌ
أَخُوهُمْ وَمَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ فَهُوَ سَالِمٌ^(٢)
جُزُوا بِالسَّرِيرَاتِ الَّتِي فِي قُلُوبِهِمْ
جَزَاهُمْ بِهَا مُخْصِي السَّرَائِرِ عَالِمٌ^(٣)
إِلَى الْغُرْفَةِ الْعُلْيَا رَفِيقُ مُحَمَّدٍ
مُقِيمًا وَلَا مِنْهَا هُوَ الدَّعْفَرُ رَائِمٌ^(٤)
لِتَبْكِ عَلَى الْجَرَّاحِ خَيْلٌ إِغَارَةٌ
وَسَوْمٌ تُرَى فِيهِ النُّجُومُ التَّوَانِمُ^(٥)
فَلِلَّهِ أَرْضٌ قَدْ أَجَنْتَ يَمِينُهُ
وَكَانَ بِهَا يُنْكِي الْغَدُوُّ الْمُرَاجِمُ^(٦)
فَلَوْ تَعْلَمُ الْأَنْعَامُ شَيْئًا بِكَيْفَتِهِ
وَكَانَ عَلَى الْجَرَّاحِ تَبْكِي الْبِهَائِمُ^(٧)

(١) يقول إنه عبر للحرب حتى قُتِلَ وواجه ربه مستشهداً .

(٢) يقول : إنهم ينجدون ويحمون .

(٣) يقول إنهم حسنوا النوايا وإنهم يجازون بها من علام السرائر أي الله .

(٤) يقول إنه يقيم بكنف النبي محمد ﷺ في الغرف العليا أي الجنة .

(٥) يبكي عليه ، وتبكي الخيل في اليوم الشديد الذي تشهد فيه النجوم ظهراً .

(٦) يترحم على الأرض التي تضمه وكان بها ينكي الأعداء وينال منهم .

(٧) كل من عليها يبكي على الجراح حتى البهائم .

ومن وجدانياته وهو في سجن خالد بن عبد الله (*) :

- أَهَاجَ لَكَ الشُّوقَ الْقَدِيمَ خَيَالُهُ
مَنَازِلُ بَيْنَ الْمُنتَضَى وَمُنِيمٍ (١)
وَقَدْ حَالَ دُونِي السَّجْنُ حَتَّى نَسِيْتُهَا
وَأَذْهَلَنِي عَنْ ذِكْرِ كُلِّ حَمِيمٍ (٢)
عَلَى أَنَّنِي مِنْ ذِكْرِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ
كَذِبِي حُمَةً يَمْتَادُ دَاءَ سَلِيمٍ (٣)
إِذَا قِيلَ قَدْ ذَلَّتْ لَهُ عَنْ حَيَاتِهِ
تُرَاجِعُ مِنْهُ خَابِلَاتِ شَكِيمٍ (٤)
إِذَا مَا أَتَتْهُ الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا
فَقَلَّ فِي بَعِيدِ الْعَائِدَاتِ سَقِيمٍ (٥)
فَلِإِنْ تَنْكُرِي مَا كُنْتَ قَدْ تَعْرِفِينَهُ
فَمَا الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ لَنَا بِذَمِيمٍ (٦)

(*) الديوان - ج ٢ - ص ٥٢٠ - ٥٢١ .

- (١) يقول إن المنازل أهاجت شوقه بطيف الحبيب .
(٢) يقول إنه سجن ونسي الحبية وكل صديق حميم .
(٣) الحمة : السم . السليم : من لدغته الأفعى . يقول إنه من ذكرها كاللديغ الذي يعاني سم الأفعى .
(٤) خابلات : المهلكات . الشكيم : الأسد .
يقول إنها أذلته وارتفعت حياته وإنه يعاني منها مثل هلاك من يتعرض للأسد .
(٥) يقول إن الريح إذا نفخت عليه من جهة ديارها فإنها تسقمه وتبقيه بدائه ، ولا قبل للعائدات أن يزرنه لأنه ناء بعيد عن أهله .
(٦) أي أنها كانت تلم به وأن بينهما أسراراً يرجو ألا تنكرها وتنكر لها .

لَهُ يَوْمٌ مَسْؤُهُ لَيْسَ يُخْطِيءُ حَقُّهُ
وَيَوْمٌ تَلَاقَى شَمْسُهُ بِنَعِيمٍ^(١)
غَزَلٌ وَمَدِيحٌ بِنِسَاءِ بَنِي مُجَاشِعٍ^(٢):

وَبَيْضٌ تَرَقَّى مِنْ بَنَاتِ مُجَاشِعٍ
بَهْنٌ إِلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَفَاخِرُهُ^(٣)
بَنَاتُ أَبِي حُورٍ كَأَنَّ حُمُولَهَا
عَلَيْهَا مِنَ الْوَحْشِ الْهَجَانِ جَاذِرُهُ^(٤)
كَسَاهُنَ مَخْضُ اللَّوْنِ سَفِيَانٌ وَاصْطَفَى
لَهُنَّ عَتِيقَ الْبَرْزِ إِذْ جَاءَ تَاجِرُهُ^(٥)
دَعَتْ لِبَأِ الْوَسْمِيِّ حَيْثُ تَفَقَّاتُ
سَوَابِي الْغَمَامِ الْغَرِّ وَأَنْعَقَ مَاطِرُهُ^(٦)
تَعَاوَرْنَ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَذُكُورِهِ
وَأَحْرَارِهِ حَتَّى تَهْوَلَ زَاهِرُهُ^(٧)

(١) يقول إن الدهر يسيء في يوم، وهو يوم محتوم لا طاقة للمرأة بأن ينأى عنه ويفر منه. ويوم سعد وإقبال تشرق عليهم شمسُه بالنعيم.

(٢) الديوان - ج ١ - ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٣) يفخر بنساء بني مجاشع ويقول إنهن بيض حرائر.

(٤) الحمول: الهوادج. الهجان: خيار كل شيء. الوحش: سفيان بن مجاشع.

(٥) يقول إنهن بيض وبياضهن صاف، وانهم يرتدين أجمل الثياب من أفضل التجار.

(٦) لبأ الوسمي: أول الربيع. السوابي: جمع السابية، انتفاخ يكون على أنف ولد الشاة ينفخيء عند ولادته، وقد شبه به الغمام المنتفخ بالماء والذي ينهمر به.

(٧) تعورت: أملت مرة بعد مرة، الأزواج: الرياض الموشاة. المذكور: النبت القاسي. الأحرار: النبت اللين. تهول: تزين.

جَمَى لَمْ يَحْطُ عَنْهُ سَرِيعٌ وَلَمْ يَخْفُ
 نُوَيْرَةَ يَسْمَى بِالشَّيَاحِينَ طَائِرَةٌ^(١)
 فَإِنْ تَمَنَّا الْأَمْثَالَ أَوْ تَطْرَدَا بِهَا
 عَلَيْهَا فَقَدْ أَحْمَتَ رِمَاحاً هَوَاجِرَةٌ^(٢)
 يَجُولُ مِنَ الصَّحَرَاءِ يَنْفِي عَنِقَها
 لَهَا مِنْ يَدِ الْجَوَازِ بِالْقَيْظِ نَاجِرَةٌ^(٣)
 لِعَمْرِي لَقَدْ أَرَعَى زُرَّارَةً فِي الْحَمَى
 صَرِيفُ اللَّقَاحِ الْمُسْتَظِلُّ وَحَازِرَةٌ^(٤)

(١) سريع: عامل كان على العراق وحماء. نويرة: رجل مازني. الشواحين: الصقور.

(٢) الأمثال والرماح: موضعان.

(٣) العنق: الإبل لطول عنقها. الناجر: يوم الحر الشديد.

(٤) زرارة: جمال كان في البصرة. الصريف: التصويت. اللقاح: النياق. المستظل: الذي يظلل وطابه. الحازر من اللبن: الحامض.

اسماء المصادر والمراجع

- (١) ديوان الفرزدق - شرح د. إيليا حاوي - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٣ .
- (٢) ديوان الفرزدق - تحقيق - كرم البستاني - دار صادر - بيروت .
- (٣) الأغاني لأبي فرج الأصبهاني - دار الكتب - القاهرة .
- (٤) البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ .
- (٥) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - دار الهلال - القاهرة - ١٩٥٧ .
- (٦) تاريخ الطبري - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٦٠ .
- (٧) جمهرة أشعار العرب لأبي الخطاب القرشي - القاهرة - ١٨٩١ .
- (٨) خزانة الأدب للبغدادى - بولاق ١٩٣٠ .
- (٩) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبدة، نشر بيغان ليدن ١٩٠٥ .

- (١٠) ابن قتيبة - الشعر والشعراء - القاهرة ١٩٤٥ .
(١١) ابن سلام - طبقات الشعراء - لندن - ١٩١٣ .
(١٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد - بولاق ١٢٩٣ هـ .
(١٣) قدامة بن جعفر - نقد الشعر - بيروت - ١٩٥٨ .
(١٤) أبو تمام - نقائض جرير والأخطل - دار المشرق - بيروت -
لبنان - ١٩٢٢ .

الفهرس

٣	مقدمة
٥	العصر الأموي
١٤	مميزات الشعر في العصر الأموي
١٩	الفرزدق
١٩	حياته
٢٥	تشييعه
٢٦	اتصاله بالأمويين
٢٨	جبنه
٣٢	موته
٣٣	آثاره
٣٤	منزلته
٣٩	أغراضه الشعرية
٤١	الهجاء والفخر عند الفرزدق
٦٢	نقائضه وجريير
٦٩	المديح عند الفرزدق
٨٩	الغزل عند الفرزدق
١١٠	الرثاء عند الفرزدق
١١٨	الزهد عند الفرزدق
١٢٣	نقد شعر الفرزدق
١٢٦	التصوير عند الفرزدق
١٣٩	نماذج من شعر الفرزدق
١٥٨	المصادر والمراجع